كتاب بغية المرتاد

في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية
وهو المنعوت (بالسبعينية)

(تأليف)

شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨

طبع بمعرفة صاحب الهمة العلية * والسيرة الرضية * حضرة الفاضل
(الشيخ فرج الله زكي الكردي الازهري)

وذلك بمطبعته (مطبعة كردستان العلمية) بمدرب الباسطة

مقدمة

لبعض الافاضل

الحمد لله في الاصل ما نصه فيه جواب الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية عن العقل وأنواع أشخاصه وأقوال الناس فيه وابطال قول من جعل العقل جوهرا قائما بنفسه أو ملكا مبدعا لكل ما سواه من العقول والنفوس والافلاك والنفوس البشرية والعناصر والمولدات وغير ذلك مما تقوله الفلاسفة كما قال بعضهم مشيرا الى ذلك في منظومة

فوق عشر تحت سبع * بين خمس لى محل

فانه في شرعة المسلمين عبارة عن عرض قائم بغيره وضمنه الرد على ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة والقرامطة والجهمية ويتضمن الرد على ابن عربي وابن سبعين وغيرهما ممن نحا نحوهما (وتحته) علقه عبد الله بن سعيد السكندري عفى الله عنه انتهى ولله الحمد * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما * وعبد الله بن سعيد هذا هو الشهير بابن أردبين وهو صاحب الشيخ تقي الدين سامحه الله تعالى فيما جناه على الشيخ من تصرفاته التي أنتجت فتنا كان عمها ما كان ولا شك انه لا يقصد ضررا للشيخ ولكنه كان يلهمه ما يوحسله أن يقول فيقع ما يسعى في سد ذلك الخرق ولم دلك الشعث واصلاح الشعب ولم يزل المذكور كذلك الى ان فارق الحياة الدنيا وكان خيرا

كتاب بغية المرتاد

في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد من تأليف شيخ الاسلام وامام الأئمة الاعلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه * وهو المسموت بالسبعينية بدأ فيه بتدبر كلام المرالى متعقبا عليه ذاكرا ما يرد على كلامه ومعرضا عن يقول مثل ذلك وموضحا مأخذ ذلك وما فيه من الخروج عن مناهج الشريعة وشواهد ذلك ممثلا له بصورة * والله تعالى الموفق (كان على الاصل ما صورته)

[illegible] وما يتصل بذلك من مواهب [illegible] وما أدخلوه في تحقيق التوحيد والايمان بالله وبمعرفته من الفساد وحسبنا الله ونعم الوكيل

(هذه مقدمة ليست من كلام شيخ الاسلام) وهي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الولي الحميد * الرفيع الدرجات ذي العرش المجيد * والحمد لله رب كل شيء * محي كل ميت ومميت كل حي * ثم يعيدهم كما بدأهم واليه النشور * والحمد لله الذي اصطفى من ملائكته رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير * والحمد لله الذي اجتبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مما خلق ختم به الانبياء وأكرمه بجعل لواء الحمد بيده يوم القيامة تحته آدم فمن دونه وشرفه بالشفاعة العظمى في اليوم المشهود أقرب الخلق وسيلة الى الله الملك الحق * والحمد لله على ماهدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأنقذ به من الغي بالكتاب العزيز والسنة السوية المشتملين على الدين القويم * أحمده وله الحمد من قبل ومن بعد * وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله * وخليله وحبيبه الناطق الصادق أعلم المخلوقين بالخالق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ماقام داع بدعوته وما عمل متبع بكتاب ربه وسنته وسلم

﴿وبعد﴾ فان في الاعتصام بالكتاب والسنة ما يشاء المعتصم المتمسك من سعادتي الدنيا والآخرة وتقدر مايتهما يعلم الحلل بذلك ولا ريب في ان الفرقة الناجية هم الذين يتوخون أن يكونوا على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير القرون الذي اتصله الله تعالى فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما صح عنه عليه الصلاة والسلام ثم حدثت البدع شيئا بعد شيء قولا وعملا فلا ترى الا منكرا معروفا أو معروفا منكرا ومحم دعاة الضلالة يدعون الى النار فاستجاب لهم من سبق عليه بذلك الكتاب ان يكون من أهلها * فكم جارحي مستبيح لدماء الامة وأموالها * ومن شيعي مر على الصحابة وانما يزري بحملة لو عقل على مروءة والاثم براء من مولاته وكالغالية منهم والهالكة كالمصرية والاسماعيلية وكالقرامطة الباطنية * ومن جهمي مكر لدلالات نصوص

الكتاب والسنة دافع لذلك عنادا منه فقط ومن مبتدل ملحد في أسماء الله تعالى يتول على الله تعالى من عند نفسه متبعا لهواه بغير هدى الله تعالى ومن متفلسف عدو للشرائع يكيدها بغيا وعنادا لها والله يتم نوره ولو كره الكافرون الى غير ذلك ممن ذكرناه ثم اختلطت الفرق فظهر اخلاط من الفرق مرجعها الى من ذكرنا فمن أضرها على الاسلام الفرقة القائلة بوحدة الوجود وهذه المقولة فاعلموا رحمكم الله تعالى لها في الفلاسفة اليونانيين أصل قديم وأثر عظيم كما ستراه داخل الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا وجود في كلامهم مسطور في دواوينهم وقد غلبت هذه المقولة على أهل التصوف الا من شاء الله تعالى منهم فصنفت فيها الكتب وتلقاها قوم يؤمنون ذلك وصار القائمون بها هم أهل الطريق وربما قيل لمن انتمى في الصلاة لديهم شيخ التحقيق وانتصب الى الدعاء الى ذلك منهم شيوخ الالحاد هذا على ما ينسب لهم في مصنفات تعزى اليهم على تقدير صحتها الى من عزيت اليه بدعائهم فيها الى وحدة الوجود والاتحاد وسترى أسماءهم داخل التأليف والرد على المقولة لا تسالم يحقق من صح عنه القول بذلك الا من قبل ما اشتمل عليه تأليف يعزى اليه ولهذا فلقائل ان يقول لا نسلم عزو ما ذكرت الى من قصدت الا بطريقه ولهذا قدمنا ما ذكرنا وقد وجدت تأليفا قديما من كلام شيخ الاسلام علم الدين الاعلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه بخطه المبارك ثم نسخة كتبت منه ونقلت على خطه على صعف في وضع خطها تنعت بالسعيدية تكلم فيها رضي الله عنه على أصول مقالات الجهمية والحلولية والاتحادية الفرعونية وما يتصل بذلك من قواعد المتفلسفة والقرامطة الباطنية مما أدخلوه في تحقيق التوحيد والايمان بالله تعالى ومعرفته من الفساد ونحوه من الالحاد فلذلك وسمت التأليف عند كتبه نيابة عن مقامه رضي الله عنه جاعلا اسمه كما تقدم بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة الباطنية أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد وبالله تعالى التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام علم العلماء الاعلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمهم الله تعالى عما يقول السادة العلماء أئمة الدين في الحديث المروي الذي لفظه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي ما خلقت خلقا أكرم علي منك فلك آخذ وبك أعطي وبك الثواب والعقاب والحديث الآخر الذي لفظه كنت كنزا لا أعرف فاحببت أن أعرف خلقت الخلق لكي يعرفوني فبي عرفوني والحديث الثالث الذي لفظه كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان هل هذه الأحاديث صحيحة أم سقيمة أم بعضها صحيح وبعضها سقيم [illegible] بعضها بزيادة الراوي العدل أم لا وما معناها على الاطلاق وكان مجلس السؤال بالمدرسة المعزية بالقاهرة فأجاب الشيخ المقصود بأن ما بني على هذه الأحاديث من مقالات الفلاسفة رديء الوجود ولا يتصل بذلك من تأويل الفلاسفة والقرامطة الباطنية بحيث ذلك وبأن الحق من الكلام والله تعالى الموفق أجاب رضي الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين أما الحديث الأول فهو [illegible] المذكور فليس هو في شيء من كتب العقل كما ذكره من لعله يحتج به من [illegible] وإنما هو موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الدارقطني والبيهقي أو غيرهما من [illegible] صلى الله عليه

وسلم في العقل لا أصل لشيء منها وليس في رواتها ثقة يعتمد وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه المعروف عن الأحاديث الموضوعات عامة ما روي في العقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى القزاز عن الحافظ أبي بكر الخطيب حدثني محمد بن علي الصوري سمعت عبد الغني ابن سعيد الحافظ يقول أما أبو الحسن علي بن عمر يعني الدارقطني كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد أخر وسرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أخر قال وهو على ما قال الدارقطني وقد رويت في العقل أحاديث كثيرة ليس فيها شيء يثبت . منها ما يرويه مروان بن سالم واسحق بن أبي فروة وأحمد بن شنقير ونصر بن طريف وابن سمعان وسليمان بن عيسى وكلهم متروكون وقد كان بعضهم يصنع الحديث ويسرقه الآخر ويغير اسناده فلم نر التطويل بذكرها (قلت) ومع هذا فقد روى أبو الفرج هذا الحديث من طريق يوسف بن محمد عن سفيان الثوري عن الفضل بن عثمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أقعد فقعد فقال ما خلقت خلقا هو خير منك ولا أكرم على منك ولا أحسن منك بك آخذ وبك أعطي وبك أعرف وبك الثواب وعليك العقاب قال أبو الفرج هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن سعيد . الفضل بن عثمان رجل سوء وقال ابن حبان وحفص بن عمر يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به وأما سيف فكذاب باجماعهم ورواه أيضا من كتاب أبي جعفر العقيلي من حديث سعيد بن الفضل القرشي حدثنا عمر بن صالح المحلي عن أبي غالب عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي ما خلقت خلقا هو أحب الي منك منك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب قال أبو الفرج هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان سعيدا وعمرا مجهولان قال وقد روى من طريق علي وأبي هريرة وليس فيهما شيء يثبت . قال أحمد بن حنبل هذا الحديث موضوع ليس له أصل قال العقيلي لا يثبت في هذا الباب شيء وهذا اتفاق أهل المعرفة على بطلان هذا الحديث مع ان أكثر ألفاظه الحاق العقل قال له وهذا غير قوله أول ما خلق الله العقل الخ لكن هذا اللفظ يمكن هؤلاء الملحدون أن يعبروا عنه بخلاف ذلك اللفظ بالاحيلة لهم في اعراضهم ثم انه من العجب ان هذا الحديث

قد جعله عمدتهم في أصول الدين والمعرفة والتحقيق من يروم الجمع بين الشريعة الالهية والفلسفة اليونانية المشائية وكل هؤلاء غيروه وإن كان موضوعا فروه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل وجعلوا هذا حجة وموافقا لما يقوله الفلاسفة المشاؤن أتباع أرسطو من قولهم أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل الاول وقد شاع هذا في كلام كثير من المتأخرين بعد أن رأوه في كتب رسائل اخوان الصفا فان هذه الرسائل هي عمدة لهؤلاء ووجدوا نحو هذا في كلام أبي حامد في مواضع وان قيل انه رجع عن ذلك ثم وقع بعده في كلام من سلك هذه السبيل من الجهمية والمتفلسفة من المماثلين وحدة الوجود وغيرهم وهذا باطل من وجوه كثيرة منها أن هذا الحديث بهذا اللفظ والاعراب لم يروه أحد من رواة الحديث لا باسناد صحيح ولا سقيم بل الحديث المروي وان كان باسناد سقيم لفظه أول ما خلق الله العقل (بنصب أول والعقل) وذلك لا حجة فيه على ان العقل أول مخلوق خلق اذ لفظه أول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل فهو نصب على الظرف اذ هي المصدرية وهي والفعل بتأويل المصدر الذي يجعله ظرفا كما يقال أول ما لقيت فلانا سلمت عليه أي في أول أوقات لقيه سلمت عليه واذا كان معناه انه قال له في أول أوقات خلقه هذا القول لم يدل على أنه أول مخلوق بل هو دليل على انه خلق قبله غيره اذ قد قال له في اول أوقات خلقه ما خلقت خلقا أكرم علي منك وان كان قد تخلق من تخلق من الجهمية القائلين بوحدة الوجود وغيرهم فسروا الاقبال والادبار بما لا يدل عليه اللفظ واختلفوا في ذلك حتى ان صاحب (الدر) يفسر الاقبال والادبار بما يرجع محصوله الى أصله الفاسد من أن وجوده وجود الحق فمعلوم ان هذا ليس هو قول هؤلاء الفلاسفة وانما ارسطو حكى عن بعض قدماء الفلاسفة انه كان يقول الوجود واحد ورد ذلك عليه فقول هؤلاء يوطيء هذا القول الذي لم يرضه هؤلاء الفلاسفة وقد كان صاحب الدر يقول من صاحب النصوص والفتوحات المكية إن كلامه فلسفة مجوحة أي عمية فيكون كلامه هو فلسفة مذمومة وسواء كان قولهم أولم يكن فمعلوم ان اللفظ المذكور لا يدل على ما فسروه به من وجوه دلالات اللفظ ولكن هؤلاء سلكوا مسلك القرامطة الباطنية وهم من الفلاسفة المنتسبين الى الاسلام وكان ابن سينا ونحوه كان أبي من أهل دعوتهم وكانت مرادات كتب الفلاسفة هو ما يوجد من مقالات هؤلاء من أبعد المقالات عن الشرع والعقل فانهم يدعون في الالهيات ويعبرون في

To: www.al-mostafa.com

السنيات فيحرفون الكلم عن مواضعه أعظم من التحريف الذي عيب به اليهود والنصارى الا بعض نفر قليل من الاميين من متفلسفيهم فانه شبيه بهم وقد علم بالاضطرار ان ما يفسرون به كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بل وكلام غيرهما ليس داخلا في مرادهم فضلا عن أن يكون هو المراد بل عامة تفاسيرهم منافية لما أراده الله تعالى إما من ذلك اللفظ وإما من غيره وان كان طوائف من المشهورين بالفقه والتصوف يطلقون هذه العبارات الاسلامية بالتفاسير الفلسفية القرمطية فقد صرحوا بان ذلك مأخوذ عن هؤلاء كما ذكر أبو حامد في كتاب (معيار العلم) لما تكلم على الحدود قال ولكنا أوردنا حدودا مفصلة لتحصل الدربة بكيفية تحرير الحد وتأليفه فان الامتحان والممارسة لشيء تفيد قوة عليه لا محالة والثاني لان يقع الاطلاع على معاني اسماء اطلقها الفلاسفة وقد أوردناها في كتاب تهافت الفلاسفة اذ لم يمكن مناظرتهم الا بفقههم وعلى حكم اصطلاحهم وانا لم نعهم ما أوردناه في اصطلاحهم لا يمكن مناظرتهم فقد أوردنا جملا قاطعة اطلقوها في الالهيات والطبيعيات شيئا قليلا من الرياضيات فلتؤخذ هذه الحدود على انها شرح الاسم فان قام البرهان على ان ما شرحوه كما شرحوه اعتقد حينئذ والا اعتقد شرحا للاسم وانما قدمنا هذه المقدمة لتعلم أن ما يورده من الحدود شرح لما أراده الفلاسفة اطلاق لا حكم فان ما ذكروه على ما ذكروه فان ذلك انما يتوقف على الطرق الموجب البرهان عليه قال والمستعمل في الالهيات أربع عشرة لفظة وهو المسمى بلسانهم المبدأ الاول وهو البارئ والعقل والنفس والعقل الكلي وعقل الكل والنفس الكلي ونفس الكل والملك والنبوة والقول والابداع والخلق الاحداث والقديم الى أن قال العقل الكلي وعقل الكل والنفس الكلي ونفس الكل) وزيادتها [illegible] عندهم هي الفلاسفة ثلاثة اقسام أجسام وهي أجسامها وعقول وهي أشرفها وانبراستها عن المادة وعلائقها حتى بها لا تحرك المواد أيضا الا بالشوق وأوسطها النفوس وهي التي تفعل في المادة على وتتصل في الاجسام بي واسطة ويسمون الملائكة السماوية نفوس الافلاك عامة عندهم [illegible] الملائكة التي يذكرها المقول اسمه فالعقل الكلي هو الذي المعبر المقول المقول على كثيرين مختلفين [illegible] المقول التي لا تختلف الا بالعدد ولا وجود لها في القوام بل في التصور وذلك مثل [illegible] الكلي أعرفه به في المعنى المعقول من الانسان في سائر الاشخاص [illegible] [illegible] اختلاف الاماكن والاوقات ولا وجود للعالم

الانسانية والحدة وهي انسانية زيد وهي بعينها انسانية عمرو ولكن في العقل تحصل صورة الانسان من شخص واحد مثلا وتطابق سائر اشخاص الناس كلهم فيسمي ذلك الانسانية الكلية فهذا مايعنى بالعقل الكلى وأماعقل الكل فيطلق على معنيين لان الكل يطلق على معنيين أحدهما وهو الاوفق للغط ان يراد بالكل جملة العالم فعقل الكل على هذا المعنى بمعنى شرح اسمه انه جملة الذوات المجردة عن المادة من جميع الجهات التى لا تتحرك لا بالذات ولا بالعرض ولا تتحرك الا بالشوق وآخر رتبة هذه الجملة هو العقل الفعال المخرج للانفس الانسانية فى العلوم العقلية من القوة الى الفعل وهذه الجملة هي مبادئ الكل بعد المبدأ الاول والمبدأ الاول هو مبدع الكل وأما الكل بالمعنى الثانى وهو الجرم الاقصى أعني الفلك التاسع الذى يدور فى اليوم والليلة فيتحرك بحركته كل ما هو حشوه من السموات كلها فيقال لجرمه جرم الكل ولحركته حركة الكل وهو أعظم المخلوقات وهو المراد بالعرش عندهم فعقل الكل بهذا المعنى جوهر مجرد عن المادة من كل الجهات وهو المحرك لحركة الكل على سبيل التشويق لنفسه ووجوده أول وجود مستفاد عن الاول ويزعمون انه المراد بقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل الحديث الى آخره *قال وأما النفس الكلى فالمراد به المعنى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فيما هو جواب ما هو أى التى كل واحد منها نفس خاصة لشخص كما ذكرنا في العقل الكلى ونفس الكل على قياس عقل الكل حملة الجواهر الغير جسمانية التى هى كآلات مدبرة الاجسام السماويه المحركة لها على سبيل الشوق والاختيار العقلي ونسبة نفس الكل الى عقل الكل كنسبة أنفسنا الى العقل الفعال ونفس الكل هو مبدأ قريب لوجود الاجسام الطبيعية ومرتبته في بيل الوجود بعد مرتبة عقل الكل ووجوده فائض عن وجوده وقد قال أبو حامد تبل هذا وأما القول بافعاله فهي غط آخر والمراد بالعقل الفعال كل ماهية مجردة عن المادة اصلا فعند العقل الفعال اما من جهة ما هو عقل انه جوهر صورى ذاته ماهية مجردة بذاتها عن المادة لا بتجريد غيره عن المادة وعن علائق المادة هي ماهية كماهية كل موجود واما من جهة انه فعال فانه جوهر الصفة المذكورة ومن شأنه ان يخرج العقل الهيولانى من القوة الى الفعل باشراقه عليه وليس المراد بالجوهر ان يحد كما يريده المتكلمون بل هو قائم بنفسه لا فى موضوع والصورى احتراز عن الجسم وماني المواد وقولهم لا بتجريد غيره احتراز

عن المعقولات المرتسمة في النفس من أشخاص المادیات فانها تتجرد بتجريد العقل اياها لا بتجريدها
بذاتها اذ العقل الفعال المخرج لنفوس الآدميين بالعلوم من القوة الى الفعل فنسبته الى المعقولات
والقوة العاقلة كنسبة الشمس الى الأبصار والمبصرات والقوة الباصرة اذ بها يخرج الابصار
من القوة الى الفعل وقد يسمون هذه العقول الملائكة وفي وجود جوهر على هذا الوجه
يخالفهم المتكلمون اذ لا وجود لقائم بنفسه غير متحيز الا الله وحده والملائكة عندهم أجسام
لطيفة متحيزة عند أكثرهم وتصحيح ذلك بطريق البرهان وما ذكرناه شرح الاسم ثم قال حد
النفس هو عندهم اسم مشترك يقع على معنى أول يشترك فيه الانسان والحيوان والنبات وعلى معنى
آخر يشترك فيه الانسان والملائكة السماوية عندهم فحد النفس بالمعنى الاول عندهم انه كمال جسم
طبيعي الى ذي حياة بالقوة وحد النفس بالمعنى الآخر انه جوهر غير جسم وهو كمال الجسم متحرك
محرك له بالاختيار عن مبدأ قطعي أي عقلي بالفعل أو بالقوة فالذي بالقوة هو فصل للنفس الانسانية
والذي بالفعل هو فصل للنفس الملكية (قلت) قوله انهم ان نفس الكل هو مبدأ قريب للاجسام
الطبيعية فيه كلام بينهم من جهة ان أكثرهم يقولون ان العقل نفسه هو المبدأ للاجسام وكذلك
قوله العقول الفعالة فيه كلام من جهة ان المسمى بالعقل الفعال عندهم هو الآخر العاشر كما قدمناه انه هو
الذي يخرج نفوس الآدميين من القوة الى الفعل وما ذكروه من الفرق بين العقول والنفوس
وبين الاجسام بان تلك مجردة عن المادة والاجسام بخلافه مبني على ان للجسم مادة هي جوهر
قائم بنفسه وهو من عظائم الاصل وما ذكروه من التجريد واحترازهم عن المعقولات بقوله
لا بتجريد عنه يقتضي الاشتراك في مسمى العقل وهذا الذي عرض من الأعراض وذلك
جوهر قائم بنفسه ولا ريب ان كلامهم في ذلك مدخول وان كان مريبا مدخولا لم يمعن النظر فيه
وعند التحقيق في [illegible] الاعتراف كما قدمناه أو سحناه في غير هذا الموضع
وكذلك ما ذكروه من استكمال النفس بالمتجرد فان لهم في ذلك رأيا وفيه تفصيل ليس هذا موضعه
لكن الذي [illegible] أن حمل هذه المعاني الفلسفية وتسمياتها
[illegible] واحد من هؤلاء
[illegible] أو لا يحضرنا له
[illegible] هؤلاء الفلاسفة وما

أحسن ما قال شيخ الاسلام المروي في من هو أحسن حالا من هؤلاء من أهل الكلام قال أخذوا خ الفلسفة فلبسوه لحاء السنة وبسبب هذا ضل طوائف ممن لم ينكشف لهم حقيقة مقاصد الناس فلا يفهمون ما يقصده الانبياء والرسل ولا ما يقصده هؤلاء حتى يقابلوا بين هذه المعاني وتلك فيعلمون هل هي متفقة متشابهة أم مختلفة بل متضادة بل قد يحرفون ما جاءت به الرسل حتى لا يفهم منه المعاني التي قصدوها المنافية لما هم عليه وكذلك يحرفون كلام أئمتهم اذا ظهر المسلمون فيصرفونه الى ما يقبله المسلمون وكذلك ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة والباتكون لاسادهم كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة من أنهم وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روّجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالي يعنون به العقل والنفس ويقولون هو اللوح والقلم وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين وكذلك السهروردي الحلبي المقتول كلامه في الباطن يأخذه من عادة الفلاسفة الصابئين والمجوس وبهذا الثاني يتميز عن غيره من الفلاسفة المشائية ولهذا يعظم الأنوار وهؤلاء الذين سلكوا مسلك فارس والروم هم من الداخلين في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لتأخذن مآخذ الأمم قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع قالوا يارسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا هؤلاء وقد تسلط ما يتعلق بهذا في غير هذا الموضع ثم انهم مع اقرارهم بأن حمل هذه المعاني الصابئة الفلسفية هي مسميات هذه الاسماء الموروثة أو التي يقال انها موروثة هو في كلام هؤلاء المتفلسفة يقطعون بذلك في مواضع اخر بل فيما يحدثونه من أشرف العلوم والمعارف حتى انهم يجعلونه من العلوم التي يفضل بها على غيرها ومن العلم المكنون الذي يستكره أهل الدرجة بالله ولا يعرفه الا أهل العلم بالله وهذا موجود في مواضع كثيرة كما في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة لما ذكر ان الكفر هو تكذيب الرسول في شيء مما جاء به وعلل بعدم ذلك بأن التصديق انما يطرأ على الخبر وحقيقته الاعتراف بوجود ما أخبر به المخبر وهو لا يكون الا لأمر موجود من مباشرة ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وهي [illegible]

تعالى عن مثلة أهم بينه اربعين مساطا فقد أثبت لله تعالى يدا ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة أومتخيلة يثبت لله تعالى يداً روحانية عقلية أعني انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون تصورها اذ روح اليد ومعناها مايبطش به ويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة الملائكة كما قال عليه السلام أول ماخلق الله العقل فقال بك أعطي وبك أمنع ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرض كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة سمي عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسميها قلما باعتبار أنه ينقش به حقائق العلوم في الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا والهاما فانه قد روى من حديث آخر ان أول ماخلق الله القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز أن يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فسمي عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى مايصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما سمي جبريل روحا باعتباره وأمينا باعتبار ما أودع من الاسرار وذا قوة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكينا عند ذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة وهذا القائل يكون قد أثبت قلما عقليا لا حسيا وخياليا لا كونيا وكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة وإما غيرها كما اختلف فيه المتكلمون فقد جعل في تأويل هؤلاء اليد والقلم والعقل عبارة عن شيء واحد وحمله هو المراد بذلك عندهم في هذه الاسماء الواردة في الكتاب والسنة وكذلك قال في كتاب مشكاة الانوار لما تكلم على المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار وجعل المشكاة هي الروح الحسي والزجاجة الروح الحيواني والمصباح العقل والشجرة الروح الفكري والزيت الروح القدسي النبوي الذي يختص به الانبياء وبعض الاولياء وهذا الكتاب كالمصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وان كان صاحب الكتاب لم يقل بذلك بل قد يكفر من يقول بذلك لكن ذاك لما فيه من الاجمال تارة ومن التفلسف واظهار مقاصد الفلاسفة في الالفاظ السوية وتأويلها عليها تارة ومن المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع تارة ومن المخالفة لما علم بالعقل الصريح تارة ولما فيه من الامور التي يقولون انها تسلم فوهم ولهذا عظم انكار أئمة الاسلام لهذا الكتاب ونحوه

حتى جرت في ذلك فصول يطول وصفها وقد جعل الكتاب ثلاثة فصول الفصل الاول في بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وعاد كلامه الى أن النور بمعنى الوجود وقد سلك ابن سينا قبله نحوا من ذلك مما جمع بين الشريعة والفلسفة وكذلك سلك ذلك الاسماعيلية الباطنية في كتابهم الملقب (برسائل اخوان الصفا) وكذلك يعلى بن رشد بعده وكذلك الاتحادية يحملون ظهوره وتجليه في الصور بمعنى وحوده فيها والكلام على هذا واسع نذكره في غير هذا الموضع اذ الغرض هنا بيان ما نعلم به من كلامهم من متابعتهم للمتفلسفة الصابئين والتعبير عن تلك المعاني بالفاظ الانبياء والمرسلين مع العلم من كل من أوتي العلم والايمان بل من كل مؤمن بان ما في هؤلاء من مخالفة كتاب الله تعالى ورسله ودينه أعظم مما في اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل * ثم قال الفصل الثاني المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار ومعرفة هذا يستدعي تقديم فطنين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الامثلة والثاني في بيان مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن وأما الفصل الثالث في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وبعضها سبعين الفا (قلت) وقد بسطنا الكلام على هذه الآية واسم الله النور والحجب وما يتعلق بذلك في غير هذا الموضع وتكلمنا على ما ذكره هو وأبو عبد الله الرازي وامثالهما في ذلك وبينا ان الحديث بهذا اللفظ كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل المعرفة بالحديث لا يوجد في شيء من دواوين الحديث وذكرنا الحديث الذي في الصحيح حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور أو النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه وذكرنا الاحاديث والآثار في الحجب وكلام السلف والائمة في ذلك وبينا مخالفة الجهمية للعقل الصريح ولكن من لم يكن له عناية تامة باتباع المرسلين واقتفاء آثارهم والاهتداء باعلامهم ومنارهم والاقتباس النور من مشكاة أنوارهم فانه يحمل الحديث الصحيح صحيحا ويضعف صحيحا الذي خلق باطلا والباطل حقا صريحا كما يوجد في كلام سائر الخارجين عن مصباح النبوة نورا وهدى من المهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان للمتدينين بها وطريقهم طريق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة الى قيام الساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة ولما تكلم صاحب كتاب مشكاة الأنوار على طريق هؤلاء في الباطن بألفاظ الكتاب والسنة في الظاهر وان كان قد روى انه رجع عن ذلك كله ومن الناس من يطعن في إضافة هذه الكتب اليه والمقصود التنبيه على ما في هذه الكتب المخالفة للكتاب والسنة من الضلال لئلا يغتر بها وبنسبتها الى المعظمين أقوام جهال. قال القطب الاول في سر التمثيل ومنهاجه اعلم ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان شئت قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات فان اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحاني وان اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي واذا اعتبرتهما باضافة أحدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت أحدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن يطلب الحقائق من الألفاظ ربما تحير عند كثرة الألفاظ وتحيل كثرة المعاني والذي تكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلا والالفاظ تبعا وأمر الصبي بالعكس منه إذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم) واذا عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي عالم عجيب اذ هو غائب عن الاكثرين والعالم الحسي عالم شهادة اذ تشهده الكافة والعالم الحسي مرقاة الى العالم العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله تعالى فان يقرب من الله أحد مالم يطأ محموحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال وهو الذي نسميه عالم القدس واذا اعتبرنا جملته بحيث لا يخرج منها شيء ولا يدخل فيها ما هو غريب عنه سميناه حظيرة القدس وربما سميناه الروح البشري الذي هو محرى لوائح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة دون حظائر تقصر أشد اقصار في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع ذلك اذ ما تطن ان هذه الالفاظ طامات غير ظاهرات عند أرباب البصائر واشتغالي الآن بشرح كل لفظ منها مع ذكر بعضه في عين القصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فأرجع الى الغرض فنقول لما كانت هذه الحياة من عالم الملكوت فكان سلوك الصراط المستقيم

عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل المعبود ولو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال لشيء في ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة وإحصاء تلك الأمثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفي به القوة البشرية فغايتي أن أعرفك فيها أنموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير ويفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الأسرار فأقول ان كان في عالم الملكوت جواهر روحانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الأنوار على الارواح البشرية ولا جلها قد تسمى أربابا ويكون الله تعالى رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في روحانيتها متقاربة فالحري أن يكون مثالها في عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب والسالك الطارق أولا ينتهي الى مادرجته درجة الكواكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الأسفل بأسره تحت سلطانه وتحت إشراق نوره ويلوح له من كماله وعلو درجته ما يبادر فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الأول في مغرب الهوى بالاضافة الى مافوقه فقال لا أحب الآفلين وكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلا للمثال نوع مناسبة له معه والمناسبة مع دنى النقص نقص وأقول أيضا فيه يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة لها إذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور أن يجاب عنه فالمراد عن كل ما سواه هو الاول الحق الى أن قال ، فأقول علم التعبير يعرفك أيضا مفتاح ضرب الأمثال لأن الرؤيا جزء من النبوة أما ترى ان الشمس في الرؤيا تعبرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الآثار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لاختصاصه الشمس بورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها عنه كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من رأى في يده خاتما يختم به الأشياء توحال وتروح النساء فتعبيره انه مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان وان من رأى انه يصب الزيت في الزيتون

فتبين ان لحته جاوية هي أمه وهو لا يعرف وباستقصاء أبواب التغيير تزدلف أنسابهذا الجنس فلا يمكن اشتمال بعددها بل أقول كما ان في الموجودات العالية الروحانية مامثاله الشمس والقمر والكواكب فكذلك فيها أمثلة أخري اذا اعتبرت منه أوصاف أخر سوي النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى أودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم موجودات تتلقى تلك النفائس أولا بعضهم بعد البعض فمثاله الوادي وإن كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب أيضا أودية ومفتتح الوادي قلوب الانبياء ثم العلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الأودية دون الأول ومنه تعترف فالحري أن يكون الأول هو الوادي الايمن لكثرة يمنه وبركته وعلوّ درجته وان كان الوادي الأدون يتلقى من آخر درجات الوادي الأيمن فمتفرعه شاطئ الوادي الايمن دون لحته وميدانه وان كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا من الوحي كما قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) فانيه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على بعض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال حظ[1] المقلد الجذوة ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب فان صاحب الذوق مشارك للسي في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلي بالنار من يمسه النار لا من يسمع خبرها وان كان أول منازل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال دلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطيء دلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين أعني الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما مرة أخري فمثال اطراحهما عند الاحرام للمتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين اللذين يترقى الى الحضرة حضرة الربوبية مرة أخري فنقول ان كان لتلك الحضرة شيء واسطته تنتقش العلوم المحصلة في الجوهر القابلة لها فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة لها ما يعصمها سابقة التلقي ومنها ما تستفيده من غيرها فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان

(١) قوله مثال حظ الخ لعله اشكله هكذا فمثال المقلد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك الخ

لناطق الكلام شيأ هو مسخر له فتناله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فتناله الصورة وان كان يوجد للصورة الانسية نوع ترتيب على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله لان الرحمة الالهية هي التي صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة حاملة لجميع أصناف ما في العالم حتى كأنه كل ما في العالم فهو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم أعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله تعالى وهو الخط الالهي الذي ليس برقم وحروف اذ تنزه عن ان يكون رقما وحروفا كما تنزه كلامه عن ان يكون صوتا ولفظا وقلمه عن ان يكون خشبا أو قصبا ويده عن ان تكون لحما وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا في آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة الله فان حضرة الالهيه غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح الرحمن والآن فتمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعي شرحا طويلا فلنتجاوز فليكفك من الانموذج هذا القدر فان هذا بحر لا ساحل له وان وجدت في نفسك نفورا عن هذه الامثال فآنس قلبك بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية وانه كيف ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والقرآن والاودية القلوب * ثم قال حائفة واعتذار لا تقنط من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى اعلان ولم يسمع الخطاب بقوله (فاخلع نعليك) حاش لله فان ابطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى أحد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بينهما ولم يعطوا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال عليه السلام للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع وانما نقل هذا عن علي بن أبي طالب موقوفا عليه لان العوام فيهم موسى من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع النعلين واطرح باطنا باطراح الدارين فهذا هو الاعتبار

أي العبور من الشيء الي غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين من سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب فيقر الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب فانه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة اذ الغضب حجاب بين القلب وبين ما مثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السعيه والصراوة واذا كان حفظ البيت الذي مقر الشخص والبدن واجباً عن صورة الكلب فلان يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن نشر الكلية أولى فانا نجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكامل وهو المعني بقولهم الكامل من لايطفئ نور معرفته نور ورعه ولذلك نرى الكامل لاتسمح نفسه بترك حد واحد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه مغالطة نسبها وقع بعض السالكين في ناحية وطي بساط الاحكام ظاهرا حتى انه ربما ترك أحدهم الصلاة ورعم انه دائما في الصلاة سره وهذا أسوأ مغالطة من الحمقى الاباحية الذين تأخذهم الترهات لقول بعضهم ان الله عفى عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبائث وليس يمكن تركيتها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة لطنه انه مأمور باستئصالها وهذه حماقات وقد اطلنا جمع ذلك في كتاب الجام العوام أهل الزيغ والضلالة وأما ماذكرناه فهو كوجود حواد وهمة سالك حرّه الشيطان فدلاه بحبل غروره وأرجع الى حديث العابين نقول ظاهر جمع الناس منه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق واذا نؤل الى السر الباطن حقيقة والكل حق حقيقة وأهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الراحة كما سيأتي معنى الراحة لان الخيال الذي من طبيعته يتحد المثال صقل كشيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفي حتى صار كالزجاج الصافي صار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك حافظ الانوار عن الاطفاء لعواصف الريح وسيأتيك قصة الزجاجة واعلم ان اعلم الكثيف الخيالي اسفلي صار في حق الابرار راحة ومشكاة الانوار ومصفاة الاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا تعرف ان المثال الظاهر حق وورائه سر وقس على هذا الظاهر والباطن وبعد هذا قلت ليس المقصود هنا الكلام المفصل على ان هذا الكلام يأمثاله حجة على المسلمين فقد سبق من ذلك ماهو كفاية وقد فصلنا في غير هذا الموضع على [illegible] من شبه الكلام الخالي من [illegible] هذا الكلام يدل على أمور باطلة من جهة

النقل كقوله ان في الصحيح ان الله خلق آدم على صورة الرحمن وقوله على صورته ليس في الصحيح فهذا من أبين الباطل فان اللفظ الذى في الصحيح من غير وجه على صورته وأما قوله على صوره الرحمن يروي عن ابن عمر وفيه كلام قد ذكرناه مع ماقاله عامة طوائف الناس في هذا الحديث من غير هذا الموضع ويشتمل على أمور باطلة وهي في انفسها مخالفة للشرع والعقل مثل ماقيه ان ملكا من الملائكة وهو العقل الفعال مبدع لجميع ماتحته من المخلوقات أو ان الملائكة يسميها العقول والنفوس ابدع بعضها بعضا أو ان عالم الشهادة هو المحسوسات وعالم الغيب المعقولات أو ان تفسير القرآن هو مثل تفسير الرؤيا وأمثال ذلك مما ليس هو من قول المسلمين واليهود والنصارى بل من اقوال الملاحدة من الصابئين والفلاسفة والقرامطة وفيها ماهو من جنس الاشارة والاعتبار الذى سلكه الفقهاء والصوفية كما في قوله ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب فاذا قيس على تطهير القلب عن الاخلاق الخبيثة كان هذا من جنس اشارات الصوفية وقياس الفقهاء ومنه ماهو من جنس القياس الفاسد كما ذكر من ان موسى أمر مع خلعه للنعلين بخلع الدنيا والآخرة وانما ينزل على قلوب أهل المعرفة من جنس خطاب تكليم موسى وتكلمه بهذا باطل باتفاق سلف الامة وائمتها وهو مبسوط في غير هذا الموضع وما فيه من تعظيم الامر والنهي وقتل من يبيح المحرمات كلام حسن فان أبا حامد هو في علم المعاملة والامر والنهي كلامه من جنس كلام أمثاله من أهل التصوف والفقه وأما ماسماه هو علم المكاشفة فكلامه فيه الوان تارة يذكره بصوت أهل الفلسفة وتارة بصوت الجهمية وتارة بصوت هو من بصويت أهل الحديث والمعرفة وتارة يظهر على هؤلاء وتارة يذكر ماهو غير ذلك فكلامنا في هذا الجواب انما كان على فساد ما احتجوا به في قوله أول ماخلق الله العقل فبيان فساد كلامهم من وجوه فالأول أن كلام [illegible] على حديث الدقيقي حيث بدأنا بالحديث وذكرنا ماقال فيه أئمة العلم والنقص

الثاني ان هؤلاء لايحصرون العلوم والمعارف التي [illegible] في علم الخالق ومصنوعاته علم الخالق بدائم الاحسام [illegible] على ان الخالق يعلم ان [illegible] على أصل هؤلاء الفلاسفة الذين [illegible] أحدا ما لم يعلم العلم [illegible]

عالم الملك والملكوت والجبروت ويفسرون عالم الملك بعالم الاجسام وعالم الملكوت بعالم النفوس لانها باطن للاجسام وعالم الجبروت بالعقول لانها غير متصلة بالاجسام ولا متعلقة بها ومنهم من يعكس وقد يجعلون الاسلام والايمان والاحسان مطابقا لهذه الامور ومعلوم ان ماجاء فى الكتاب والسنة من لفظ الملكوت كقوله تعالى (بيده ملكوت كل شيء) وقوله صلى الله عليه وسلم فى ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة لم يرد به هذا باتفاق المسلمين ولا دل كلام أحد من السلف والأئمة على التقسيم الذى يذكرونه بهذه الألفاظ وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك المعانى التى تلقوها عن الفلاسفة وصعبا وصعبوه ثم يريدون ان ينزلوا كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على ماوضعوه من اللغة والاصطلاح وهذا لو كانت تلك المعاني التى يذكرها الفلاسفة صحيحة ماجاز بل كان من الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا علم انه أرادها فكيف واكثر تلك المعانى باطلة ومضطربة وما يذكرونه من الاقيسة العقلية على نفيها أقيسة ضعيفة بل فاسدة وقد اعترف اساطين الفلاسفة بانها لاتفضي الى اليقين وكل منهم يعبر عن المعاني الفلسفية بعبارات اسلامية ومنهم من لايبين لاكثر الناس ان مراده ذلك ومنهم من يزعم ان تلك المعانى حصلت له بطريق الكشف والمشاهدة كما يزعمه صاحب الفتوحات المكية واشباهه وقد يقول عن الملائكة أنوار في أنوار وأنوار فى ظلال وأنوار في ظلمة والأول هي العقول والثاني هي النفوس الفلكية والثالث النفوس الطبيعية ومعلوم ان الملائكة الذين وصفهم الله تعالى فى الكتاب والسنة لايطلقون على هذه العقول العشرة والنفوس التسعة التى يذكرونها كما قد بسطنا الكلام فى ذلك فى غير هذا الموضع ولهذا يؤول بهم الامر الى ان يجعلوا الملائكة والشياطين اعراضا تقوم بالنفس ليست أعيانا قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار ان هذا خلاف ما أخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون وان كان قد يعبر بالشيطان المعاني التمرد من كل نوع وقد يعبر به عن الناس عرضا وهذا كما يجعلون كلام الله مايفيض على نفس النبي من غير ان يثبتوا لله تعالى كلاما خارجا عما في نفس النبي ومحمد التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس الا من حيث كونها اصغى واكمل وحينئذ فيكون القرآن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حقيقة قول

التوحيد الذي قال في القرآن (ان هذا الا قول البشر) كما قد بحثا في غير هذا الموضع ولهذا يقولون انه لم يسجد لآدم الا الملائكة الارضية ويعنون بالسجود انقياد هذه القوى البشرية كما في جواهر القرآن * قال وأما الافعال فبحر متسع اكنافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وافعاله فكل ماسواه فعله لكن القرآن اشتمل على الخلق منها الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر اصناف النبات والحيوان وهي التي ظهرت للحس واشرف افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها مالا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب أعني العارف بالله تعالى من جملة احراء الأدنى فانها أيضا من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانس وهي التي سجدت لآدم ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانسان وهي التي امتنعت عن السجود لآدم ومنها الملائكة السماوية وأعلاهم الكروبيون وهم العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم الى الآدميين بل لا التفات لهم الى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة حضرة الربوبية وجلالها هم قاصرون عليه لحاظهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا تستبعد أن يكون في عباد الله من يشغله جلال الله تعالى عن الالتفات الى آدم وذريته ولا تستعظم الآدمي الى هذا الحد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أرضا بيضاء تسير الشمس فيها ثلاثين يوما هي مثل ايام الدنيا ثلاثين مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق آدم وابليس رواه ابن عباس فاستوسع مملكة الله تعالى (قلت) فهذا الكلام سيعظمه في نادي الرأي أو مطلقا من لم يعرف حقيقة ماجاء به الرسول ولم يعلم حقيقة الفلسفة التي طبق هذا الكلام عليها وعبر عنها عبارات المسلمين * فاما قول القائل ان القرآن اشتمل على الخلق وهي التي ظهرت للحس واشرف افعال الله تعالى مالا يظهر للحس يعني ولم يشتمل القرآن عليه فهذا مع مافيه من النص بالقرآن وذكر اشتماله على القسم الناقص دون الكامل وتطرق أهل الالحاد الى الاستخفاف بما جاءت به الرسل هو كذب صريح يعلم ضياء المسلمين انه كذب على القرآن فان في القرآن من الاخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك مالا يخفى على أحد وهو أكثر من أن نذكرها وفي القرآن من الاخبار بصفات الملائكة وأصنافهم واعظمهم مالا يهتدي هؤلاء الى

عشرة ليس منهم من ذلك الا شيء قليل بحال بل الرسول انما بعث ليخبرنا بالغيب والمؤمن من آمن بالغيب وماذكره من المشاهدات فانما ذكره آية ودلالة وبينة على ما أخبر به من الغيب فهذا وسيلة وذلك هو المقصود * ثم يقال انه انما ذكر الوسيلة يا سبحان الله اذا لم يكن الاخبار عن هذا القسم في هذا الكتاب الذي ليس تحت أديم السماء كتاب أشرف منه وعلم هذا لا يؤخذ عن الرسول الذي هو أفضل خلق الله تعالى في كل شيء في العلم والتعليم وغير ذلك أيكون ذكر هذا في كلام أرسطو وذويه وأصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثال هؤلاء الذين يثبتون ذلك بأقيسة مشتملة على دعاوى مجردة لا نقل صحيح ولا عقل صريح بل تشبه الأقيسة الطردية الخالية عن التأثير وتعود عند التحقيق الى خيالات لا حقيقة لها في الخارج كما سنبينه عليه وكذلك روح الانسان وقلبه في الكتاب والسنة من الاخبار عن ذلك ما لا يكاد يحصيه الا الله تعالى * ثم قوله بعد ذلك ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانسان وهي التي سجدت لآدم وزعم ان ملائكة السموات والكروبيين لم يسجدوا لآدم هو أيضا نقل عن أقوال المسلمين واليهود والنصارى فان القرآن قد أخبر أنه سجد الملائكة كلهم اجمعون فأتى بصيغة العموم ثم أكدها تأكيدا بعد تأكيد فليت شعري اذا أراد المتكلم الاخبار عن سجود جميع الملائكة هل يمكنه أبلغ من هذه العبارة لكن من يفسر الملائكة بقوى النفوس لا يستبعد أن يقول مثل هذا والملائكة السماوية عندهم هي النفوس الفلكية والكروبيون في اصطلاحهم هم العقول العشرة ومعلوم ان هذا كله ليس من أقوال أهل الملل اليهود والنصارى فضلا عن المسلمين وقول القائل ان أولئك لا يعتنون الى الآدميين هو من أقوال الفلاسفة الضالين * والمشهور عند أهل السنة والجماعة ان الانبياء والأولياء أفضل من جميع الملائكة وقد قال عبد الله بن سلام ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أبا يوسف ولا جبرائيل ولا ميكائيل فقال يا بن أخي أو تعرف ما جبرائيل وميكائيل انما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد وثبت بالاسناد الذي على شرط الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه قال قالت الملائكة يا ربنا قد جعلت لبني آدم الدنيا يأكلون منها ويشربون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا فقال لا أفعل ثم اعادوا عليه فقال لا أفعل ثم أعادوا عليه فقال وعزتي لا أجعل صالح ذريه من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان

وروى هذا عبد الله بن أحمد في كتاب السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد مرسل والمرسل يصلح للاعتضاد بلا نزاع وقد تكلمت على هذه المسألة بكلام مبسوط كتبناه من سنين كثيرة وأما قوله ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانسان وهي التي امتنعت عن السجود فغلط أيضا فانه لم يؤمر بالسجود من جنس هؤلاء الا ابليس ولم يؤمر بالسجود لآدم أحد من ذريته فكيف يوصفون بالامتناع المذكور واذا كان رب العباد سمع كلام عباده ويجيب دعاءهم عند المسلمين فأي نقص على الملائكة اذا استغفروا لهم بل كان من قولهم ان الله لا يجيب داعيا ولا يقدر على تغيير ذرة في العالم وانما دعاء العباد وتصرف نفوسهم في هيولى العالم وان كان العالم لازما لذاته لا يمكنه دفعه عن هذا اللزوم بل أثبتهم على أنه لا يشعر باعيان خلقه واذا كانوا كذلك لم يستنكر لهم ان يقولوا في ملائكته هذا * وأما قوله مستغرقون بجمال الحضرة وجلالها فهذا الكلام من جنس الطامات فان هذا من جنس مايسميه بعض الصوفية الفناء وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره ومعلوم باتفاق الناس أن حال البقاء أكمل من الفناء وهذه حال الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين ومعلوم أن الرسل أفضل الخلق وهم يدعون العباد الى الله تعالى ويعلمونهم ويجاهدونهم ويأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فلو كانت تلك الحال أكمل لكان من لم يرسل أكمل من الرسل وهذا خلاف دين المسلمين واليهود والنصارى لكنه يوافق دين غالية الصابئة من المتفلسفة الذين يفضلون الفيلسوف على النبي والرسول وحال الجهمية الاتحادية الذين يفضلون الولي أو خاتم الاولياء على الرسل ومعلوم ان هذا باطل وكفر عند المسلمين * وأما قوله لا تستبعد ان يكون في عباد الله تعالى من يشغله جلال الله تعالى عن الالتفات الى آدم وذريته فهذا ليس صفة كمال بل الملائكة يسجدون الليل والنهار لا يفترون وهم مع ذلك يدبرون من أمر الخلق ما أمروا بتدبيره وقد أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهم أهل الدنيا النفس ومعلوم ان النفس لا يشغل الانسان عما يراوله من الاعمال فحينئذ كمال التسبيح والمشاهدة لجلال الله تعالى لا يشغلهم عن [illegible] الجمع أكمل لا سيما وهم يقولون كمال الانسان التشبه بالله على حسب الطاقة وقد وافقهم هؤلاء على هذا المعنى وكذلك قولهم في الملأ الاعلى اذا كان ذلك معلوما ان الله تعالى لا يشغله عن

معرفته وعلمه وذكره شيء بل هو سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين وان كان قولهم في الله تعالى ليس موافقا لقول المسلمين في علمه وقدرته ومشيئته فالكلام مع من يذكر مطابقة الكتاب والسنة اقولهم وهذا لا يكون الا مسلما فلا يمكن ذكر المطابقة مع المخالفة لاصول المسلمين وأما مع من لا يبالي بدين الرسول أو يفضل الفيلسوف على النبي فهذا لكلامه مقام آخر يستقصى فيه غير الاستقصاء كما بسط تناقض أقوالهم على أصولهم، فسادها على كل أصل في غير هذا الموضع وقد قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) الآيتين ومعلوم ان حملة العرش ومن حوله من أعظم المقربين من الملائكة بل قد ذكر من ذكر من المفسرين ان الملائكة المقربين هم حملة العرش والكروبيون من الملائكة مشتقون من كرب اذا قرب فالمراد وصفهم بالقرب لا بالكرب الذي هو الشدة كما يظن ذلك طوائف من هؤلاء وفرقوا بين الكروبيين والروحانيين بأن أولئك في عالم الخلال وهؤلاء في عالم الحمال فان هذا توهم وخيال لم يقله أحد من علماء أهل الملل المتلقين ما قالوه عن الرسل صلى الله عليهم وسلم أجمعين والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها والحديث الذي ذكره عن ابن عباس من الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة وانما يوجد هذا الكلام أو نحوه في جزء فيه المكر والاعتبار لابن أبي الدنيا ايضا فهؤلاء يعتقدون من جهة علم الهيئة ان هذا الحديث باطل فاذا كان هؤلاء يفسرون عالم الخلق بعالم الاجسام وعالم الأمر بعالم العقول والنفوس ويزعمون أنها ليست أجساما وعدم هذا العالم لانفصال وما انه مخلوق بل هو ممتنع بطل قولهم ان أول مخلوق هو العقل وان كان التقسيم خلاف اجماع المسلمين ثم هم مقرون بأن الله تعالى خالق كل شيء وان كل ما سواه فهو مخلوق وصفاته ليست مخلوقة من مسمى اجمال القرآن كلام الله غير مخلوق وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم [illegible] في بعض الأحاديث كما في أعمال العباد التي تعرض

فيها القدرية ولم ينازعوا فى الاعيان والملائكة من الاعيان لا من الاعراض فهى من المخلوقات باتفاق المسلمين وليس من أهل الملل خلاف في ان الملائكه جميعهم مخلوقون ولم يجعل أحد منهم المصنوعات نوعين عالم خلق وعالم أمر بل الجميع عندهم مخلوق ومن قال ان قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) أريد به هذا التقسيم الذى ذكره فقد خالف اجماع المسلمين وأما نظارهم الذين يتكلمون بلفظ الجوهر والجسم والعرض فمتفقون على ان جميع الملائكة أجسام بل متفقون على ان كل ممكن اما ان يكون جسما أو عرضا مع نزاعهم فى الجسم هل هو منقسم الى الاجزاء التى لا تنقسم أو غير منقسم وممتنع عدمه وجود قائم بنفسه وليس بجسم وهم متنازعون في الوجود مطلقا ومن ذكر من المتأخرين كالشهرستاني والرازى والآمدى ونحوهم أنهم تكلموا فى حدوث الاجسام ولم يعتمدوا دليلا على نفى ما ليس بجسم كالعقول والنفوس التى تسميها الفلاسفة بل سكتوا عن ذلك فليس الامر كما ذكروا بل قد صرح أئمة المتكلمين بان نفى ذلك معلوم بالضرورة المستغنية عن الدليل وكثير منهم يقول ان كل موجودين فاما متباينان واما متحايثان ان هذا معلوم بالضرورة وأما الملائكة فمتفقون على ان هذا التقسيم ثابت فيها بالضرورة وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع وقال وقد لفظ الخلق مشترك فى اصطلاحهم كما ذكره أبو حامد عنهم فقال وحد الخلق هو اسم مشترك فيقال خلق لافادة وجود كيف كان وكذلك قد يقال خلق لافادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان وقد يقال خلق لهذا المعنى الثاني لكن بطريق الاختراع من غير سبق مادة لها أو وجوده فمتى كان الخلق مشتركا بينهم بين مطلق الايجاد وبين الايجاد المخصوص بالاجسام المعينة أمكن ان يقال هو أول ما خلق الله المتقدم على المعنى الاول وقد ذكروا من بنى الخلق على العقول والنفوس هو على الاصطلاحين الآخرين الذين لم يتكلم بهما أئمة السلف وذكروا أن العقل لا يدل الا على الحق ولم أو صلح اصطلاحات كما لكل أمة ولكل أهل علم صناعة واصطلاحهم الاصلي جائزة واذا عرفت تلك المعاني بالعربية ومن انما نحتاج الى معرفة اصطلاحهم اذا [illegible] بل يجب أحيانا كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وقال حماد بن زيد عن [illegible] حتى كلمت للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

الاعاجم فكيف بالسنتهم ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا بمقاصدهم ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى فما وافقه فهو حق وما خالفه فهو باطل كما قال الله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) والاختلاف نوعان نوع في جنس اللغة كالعربية والفارسية والرومية واليونانية ويقال هي هي ونوع في اصنافها اذ قد يكون في الالفاظ العربية العامة والاصطلاحية الخاصة نظير ماني لغة العرب ولغة هؤلاء المصنفين منهم كانت من هذا النمط فاما الالفاظ التي أنزل الله بها القرآن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين وأخذوا عنه لفظه ومعناه وتناقل ذلك أهل العلم بالكتاب والسنة بينهم خلف عن سلف فهذه لايجوز ان يرجع في معانيها الى مجرد أوضاعهم ولاريب ان القوم أحدثوا العبارات الاسلامية القرآنية والسنية فجعلوا يصبون لها معاني توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها ويحملون مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من جنس ماأرادوا فحصل بهذا من التلبيس على كثير من أهل الملة ومن تحريف الكلم عن مواضعه ومن الالحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما الله به عليم ولهذا قد يوافقون المسلمين في الظاهر ولكن هم في الباطن زنادقة منافقون وهذا كما جاؤا الى لفظ المحدث والقديم فقالوا الاحداث مشترك يطلق على وجهين أحدهما زماني والآخر غير زماني فمعنى الاحداث الزماني الايجاد للشيء بعد ان لم يكن له وجود في زمان سابق ومعنى الاحداث غير الزماني هو افادة الشيء وجودا وذلك الشيء ليس له في ذاته ذلك الوجود لاحسب زمان دون زمان بل بحسب كل زمان وغرضهم بهذا الوضع أن يطلقوا بين المسلمين ان السموات والارض وما بينهما محدث مخلوق فيظن الظان انهم لايناقضون في كون ذلك محدثا مخلوقا مع العلم الضروري ان قولهم فيها ليس ماأخبرت به الرسل واتفق عليه أهل الملل وكذلك أيضا قولهم الابداع اسم مشترك لمفهومين أحدهما مايبتدؤه الشيء لا عن شيء ولا بواسطة شيء والمفهوم الثاني ان يكون للشيء وجود مطلق عن سبب تام لا متوسط وله في ذاته ان لا يكون موجودا وقد أفقد الذي في ذاته افتقادا ذاتيا قالوا وبهذا المفهوم العقل الاول مبدع في كل حال لانه ليس وجوده من ذاته فله في ذاته

العدم وقد أفقد ذلك افتقادا تاما ومعلوم ان هذا المعنى ليس هو المعروف من لفظ الابداع في اللغة التي بها نزل القرآن كما في قوله تعالى (بديع السموات والارض) ونحو ذلك ولفظ الخلق أبعد عن هذا المعنى فان مثل هذا المعنى يعلم بالاضطرار انه ليس هو المراد بلفظ الخلق في القرآن والسنة وقد فسروا لفظ الخلق ثلاثة معان ليس فيها واحد هو المراد في كلام الله تعالى ورسوله والمؤمنين فان مايذكرونه من افادة وجود الملائكة بالمعنى الاول ومايذكرونه في اختراع الافلاك والعناصر بالمعنى لم يريدوا احدا منها الانبياء والمؤمنون وذلك معلوم بالاضطرار والتواتر والاجماع وأما المعنى الثاني فكذلك فليس في كلام الرسل مايثبت ان الخلق حاصل في أجسام هي مادة وصورة بل كلامهم ينفي ذلك وهذا بين فقد تبين ان أهل الملل المتفقين على ان الله تعالى خلق الملائكة لا يريدون خلقهم بالمعنى الاول وهو الذي يريده الفلاسفة كما في قوله تعالى (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء ان الله على كل شيء قدير) فقد أخبر الله تعالى في كتابه ان من أعمال الملائكة وعاداتهم وحركاتهم وكلامهم وأصنافهم مايناقض أصولهم ويبطلها وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وقد بسط في غير هذا الموضع ان قولهم بصدور العقول والنفوس عنه هو نظير قول من جعل له سبع سموات كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والارض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وتبين أيضا ان قولهم تولد دلت عليه هو كقول من يقول تولد الملائكة أو المسيح عنه وقد قال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الآية وقال تعالى (وله من في السموات والارض) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وهذا باب

واسع ليس هذا موضعه قد بسطناه في غير هذا الموضع * وأما خلق السموات والارض فقد نص القرآن والتوراة أنه خلق ذلك في ستة أيام وتواترت بذلك الاحاديث ثم اتفق عليه أهل الملل فكيف يجوز ان يعبر بالاختراع اللازم لذاته من غير سبق مادة كما ذكروه في المعنى الثالث ولفظ الخلق المذكور في القرآن يتضمن معنيين كلاهما ينافض قولهم يتضمن الابداع والانشاء المعروف ويتضمن التقدير وعدم العقول والنفوس ليس لها مقدار ولا هي أيضا مبدعة الابداع المعروف والسموات ليست مبدعة الابداع المعروف وقد قال الله تعالى (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) فذكر لفظ الخلق لكل شئ وذكر أنه قدر كل شئ تقديرا والملائكة عندهم لم تقدر بل ولم تخلق الخلق المعروف عند المسلمين باللغة التي خوطبوا بها فهذا أصل * الأصل الثاني ان يقال لفظ الخلق المذكور في القرآن ليس مشتركا بالضرورة والاتفاق ولم يقل أحد من المسلمين ان قوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم يدل على معان متباينة كلفظ العين والقرء ونحو ذلك وان زعموا ان لفظ الخلق في القرآن والسنة متضمن للتقدير حتى يفرقوا بين عالم الخلق والامر بطل قولهم أول ما خلق الله العقل فانه على هذا الاصطلاح لا يكون مخلوقا وان زعموا أنه يتضمن الاتحاد كيف ما كان بطل تقسيمهم لعالم الخلق وعالم الأمر وزعمهم ان الملائكة مخلوقة مع ان فساد هذا معلوم بالاضطرار من دين المسلمين فانه ليس لاحد أن يقول ان الملائكة ليست مخلوقة ولا يقبل منه تفسير ذلك بمحال مع النبي وهذا يدل على مناقضتهم للرسل أيضا مع كثرة أدلة ذلك

(الوجه الثالث) ان هؤلاء يدعون ان العقل الأول صدر عنه جميع ما تحته فصدر عنه عقل ونفس وفلك وعن العقل عقل ونفس وفلك الى العقل الفعال فانه صدر عنه جميع ما تحته من المواد والصور ويسمون هؤلاء الأرباب الصغرى والآلهة الصغرى ومعلوم بالاضطرار من دين جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ان شيئا من الملائكة ليس هو فاعلا لجميع المصنوعات ولا أنه مبدع لجميع ما تحت فلك القمر بل قد قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون

كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) وقال تعالى (ان يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا ادا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا * ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ولان ما اتفق عليه أهل الملل من ان الملائكة سجدوا لآدم يبطل قول هؤلاء ان اضعف العقول التي هي الملائكة عندهم هو مبدع جميع البشر ورب كل ما تحت فلك القمر

(الوجه الرابع) ان من تدبر الكتب المصنفة في العقل لاهل الآثار تبين له تحريف هؤلاء مع ضعف الأصل ومن أشهرها كتاب العقل لداود بن المحبر وهو قديم في أوائل المائة الثالثة روى عنه الحارث بن أبي أسامة ونحوه وكذلك مصنفات غيره رووا فيها عن ابن عباس أنه دخل على أم المؤمنين عائشة فقال يا أم المؤمنين أرأيت الرجل ثقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب الى الله قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني عنه فقال أحسنهما عقلا فقلت يا رسول الله انما أسألك عن عابدهما فقال يا عائشة انهما لا يستبان عن عابدهما انما يستبان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة ورووا فيها عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل انسان سبحة مطية وبيتة ومحجة واصحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالمحجة الواضحة أعلمهم عقلا ورووا فيها عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون من أهل الصوم وأهل الصلاة وأهل الحج وأهل الجهاد فما يجري يوم القيامة الا بقدر عقله وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لقد سبق الى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياما ولا

To: www.al-mostafa.com

حجا ولا اعتبارا ولكنهم عقلوا عن الله تعالى مواعظه فوجلت منه قلوبهم واطمأنت اليه النفوس وخشعت منه الجوارح فعاقوا الخليقة بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة فهذه الاحاديث ونحوها هي مما روى بالاسانيد في العقل وفي ضمن هذه الاحاديث ونحوها رووا الحديث المتقدم أول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب وهل يشك من سمع هذه الاحاديث ان المراد بذلك عقل الانسان وليس المراد ما هو أعظم المخلوقات الموجودات بعد الباري عدمهم وهو عدمهم أبدع كل ما سواه وان الاستدلال بهذا الحديث ونحوه على ارادة هذا المعنى من أعظم الضلال وأبعد الباطل والمحال هذا لعمري لو كان ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال أبو حاتم بن حبان البستي لست أحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا صحيحا في العقل لان أبان بن أبي عياش وابن وردان وعمر بن عمرو بن سالم بن عمران وعلي بن زيد الحسن بن دينار عادي كثير وميسرة ابن عبد ربه وداود بن المحبر ومنصور بن شقير ودويهم كلهم ضعفاء هذا مع ان أبا حاتم هذا مع فضيله وبراعه وحفظه كان يتهم بان في كلامه من جنس الفلسفة أشياء حتى حرب له بسبب ذلك قصة معروفة عند العلماء بحاله وقد تقدم كلام سائر أهل المعرفة في أحاديث العقل واتفاقهم على ضعفها كما قال أبو الفرج بن الجوزي وقد قال أبو الفرج بن الجوزي في ذم الهوى وغيره المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العقل كثير الا انه لم يثبت الثبوت وقال أبو جعفر العقيلي لم يثبت في هذا الباب شيء من هذا النحو وهذا الذي قالاه هما ونحوهما معروف لمن كان له خبرة بالآثار بل لفظ العقل اسم ليس له ذكر في القرآن وانما يوجد ما تصرف منه لفظ العقل نحو يعقلون وتعقلون وما يعقلها الا العالمون وفي القرآن الاسماء المتصرفة له كاسم الحجر والنهى والالباب ونحو ذلك وكذلك في الحديث لا يكاد يوجد لفظ المصدر في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح الا في مثل الحديث الذي في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر الى المصلى فمر على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فاني أريتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لذي الرأي الرجل منكن

قلن وما نقصان عقلنا ودينا يا رسول الله فقال أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قلن بلى قال هذا من نقصان عقلها قال واذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فهذا من نقصان دينها وهذا الحديث ونحوه لا ينقص ما ذكره الحافظ أبو حاتم وأبو الفرج والعقيلي وغيرهم اذ ليس هو في فضل العقل وانما ذكر فيه نقصان عقل النساء وذلك ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا اذا ضبط وأمسك ما يعلمه وضبط المرأة وامساكها لما تعلمه أضعف من ضبط الرجل وامساكه ومنه سمي العقال عقالا لانه يمسك البعير ويجره ويضبطه وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ضبط القلب للعلم بضبط العقال للبعير فقال في الحديث المتفق عليه احتفظوا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال مثل القرآن مثل الابل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وان أرسلها ذهبت وفي الحديث الآخر أعقلها وأتوكل أو أرسلها فقال بل اعقلها وتوكل فالعقل والامساك والضبط والحفظ ونحو ذلك ضد الارسال والاطلاق والاهمال والتسيب ونحو ذلك وكلاهما يكون بالجسم الظاهر للجسم الظاهر ويكون بالقلب الباطن للعلم الباطن فهو ضبط العلم وامساكه وذلك مستلزم لاتباعه فلهذا صار لفظ العقل يطلق على العمل بالعلم كما قد بسطنا الكلام على مسمى العقل وأنواعه في غير هذا الموضع اذ الغرض هنا بيان كذب هؤلاء على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

الوجه الخامس أن يقال ان العقل في لغة المسلمين كلهم أولهم عن آخرهم ليس ملكا من الملائكة ولا جوهرا قائما بنفسه وهو العقل الذي في الانسان ولم يسم أحد من المسلمين قط أحدا من الملائكة عقلا ولا نفس الانسان ناطقه عقلا ولا هذه من لغة اليونان ومن المعلوم ان كل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كلام الله تعالى مما نزل به وحي في ملته التي خاطب بها أمته ولا في لغة أمته وانما توجد في لغة أمتهم يخاطبهم بها ولم يخاطب أمته بلغتهم فهما يبين ان الذين وضعوا الاحاديث التي ريب في ذلك ليس من الذين وضعوها ما أثبته الفلاسفة من الجواهر القائمة بنفسها وهؤلاء [illegible] حديث على قول الفلاسفة لم يفهموا كلام الكاذبين الواضعين للحديث بل حرفوا [illegible] كان عند واضعي الحديث الذي استدلوا به فكذب في هذا [illegible]

الوجه السادس ان العقل في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين لائمة لا يراد به جوهر

فلم يقصد باتفاق المسلمين وانما يراد به العقل الذي في الانسان الذي هو عند من يتكلم في الجوهر والعرض من قبيل الاعراض لا من قبيل الجواهر وهذا العقل في الاصل مصدر عقل يعقل عقلا كما يجيء في القرآن (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) (ومنهم من يستمع اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهذا كثير وهذا مثل لفظ السمع فانه في الاصل مصدر سمع يسمع سمعا وكذلك البصر فانه مثل الابصار ثم يعبر بهذه الالفاظ عن القوى التي يحصل بها الادراك فيقال للقوة التي في العين بصر وللقوة التي يكون بها السمع سمع وهذين الوجهين فسر المسلمون العقل ومنهم من يقول العقل هو من جنس العلم كما يقوله القاضي أبو بكر بن الباقلاني وأبو الطيب الطبري وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم ومنهم من يقول هو الغريزة التي بها يتهيأ للعلم كما نقل ذلك عن الامام أحمد ابن حنبل والحارث المحاسبي ويدخل ذلك في العقل العملي وهو العمل بمقتضى العلم وأما تسمية الشخص العاقل عقلا أو الروح عقلا وهذا وان كان يسوغ نظيره في اللغة فقد يسمون الفاعل الشخص بالمصدر فيسمى عدلا وصوما وفطرا وليس هذا من الامور المطردة في كلامهم فلا يسمون الآكل والشارب أكلا وشربا ولو كان ذلك مما يسوغ في القياس بحيث يسوغ ان يسمي كل فاعل باسم مصدره وهذا انما يسوغ في الاسم لا في الاستدلال فليس لاحد أن يصنع هو مجازا بنفسه يحمل عليه كلام الله تعالى ورسوله وكلام من تكلم قبله اذ المقصود بالكلام هو فهم مراد المتكلم سواء كان لفظه يدل على المعنى وهو الحقيقة أو لا يدل الا مع القرينة وهو المجاز فليس لاحد أن يسمي الجوهر القائم بنفسه عقلا ثم يحمل عليه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم بالاضطرار لمن يعرف لغة النبي والمسلمين الذين يتكلمون بلغته ان هذا ليس هو مراد النبي صلى الله عليه وسلم في اسم العقل فليس هذا مراد المسلمين باسم العقل ولا يوجد ذلك في استعمال المسلمين وحطابهم واذا كان كذلك لم يجز أن يتمسكوا بشيء من كلام الرسول الذي فيه لفظ العقل لو كان ثابتا على اثبات الجوهر الذي يسمونه عقلا وهم يدرون ما يوجد من كلام المسلمين عامتهم وخاصتهم سلفهم وأئمتهم رفقهائهم ومحدثيهم صوفيتهم ومتكلميهم ونحاتهم ومتكلميهم لم يجدوا كلام أحد منهم لفظ العقل منقولا على ما زعم هؤلاء المتفلسفة ولا على ما يقال انه ملك من الملائكة

ولا يسمون أحدا من الملائكة عقلا ولا الله تعالى عقلا الا من أخذ ذلك عن الفلاسفة هذا مع أنه مذكور في كتب الاصول والكلام في ذلك فيه من النزاع أقوال كثيرة تنازع فيها أهل الكلام وأهل النظر المنتسبين الى الاسلام ثم ان قول المتفلسفة عندهم قول آخر * واعلم ان المقصود في هذا المقام ان لفظ العقل لا يعبر به عن جوهر قائم بنفسه لا عن ملك ولا غيره في عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وسائر علماء المسلمين فلا يجوز ان يحمل شيء من كلامهم المذكور فيه لفظ العقل على مراد هؤلاء المتفلسفة بالعقول العشرة ونحو ذلك فيقطع دابر من يجعل لهم عمدة في الشريعة من هذا الوجه * ثم بعد هذا النزاع بين الناس في فرعين * أحدهما ان العقل الذي هو الانسان ما هو * الثاني ان ما يسميه المتفلسفة بلفظ العقل هل له وجود أم لا وقد ذكروا في كتب الاصول النزاع في ذلك جملة كما يذكره القاضي أبو بكر بن الباقلاني والقاضي أبو الطيب والقاضي أبو يعلى وأبو الوفاء بن عقيل وأبو المعالي الجويني وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني والقاضي أبو بكر بن العربي المعافري وأكثر أهل الكلام فان هؤلاء يختارون ان العقل الذي هو مناط التكليف هو ضرب من العلوم الضرورية كالعلم باستحالة اجتماع الضدين وكون الجسم في مكانين وفقدان الواحد عن الاثنين والعلم بموجب العادات فاذا أخبره مخبر بان الفرات يجري دراهم لا يجوز صدقه ومن أخبر بنبات شجرة بين يديه وحمل ثمرة وادراكها في ساعة واحدة لا ينتظر ذلك ليأكل منها واذا أخبر بان الارض تشق ويخرج منها فارس بسلاح يقتله لا يهرب فرعا فاذا حصل له العلم بذلك كان عاقلا ولزمه التكليف * ثم قد نقل عن طوائف من الأئمة والعلماء ما يقتضي أنه القوة التي يعقل بها وعن طوائف ما يقتضي أنه قد يكون مكتسبا فروى أبو الحسن التميمي في كتاب العقل عن محمد بن احمد بن مخرم عن أبي الحسن التميمي عن ابراهيم الحربي عن أحمد بن حنبل أنه قال العقل غريزة * والحكمة فطنة * والعلم سماع * والرعة في الدنيا هوى * والزهد فيها عفاف * وقد فسر القاضي أبو يعلى ذلك بان قوله غريزة انه خلق لله ابتداء وليس بالمكتسب وذكر عن أبي محمد البربهاري أنه قال ليس العقل بالاكتساب انما هو فضل من الله وذكر عن أبي الحسن التميمي أنه قال في كتاب العقل العقل ليس بجسم ولا صورة ولا جوهر وانما هو نور فهو كالعلم وعن بعضهم أنه قال هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وعن أبي

بكر بن فورك أنه قال هو العلم الذي يمتنع به من فعل القبيح وعن بعضهم أنه ما حسن معه التكليف ثم قال القاضي ومعنى ذلك كله متقارب ولكن ما يذكرناه أولى لانه مفسر خلافا لما حكي عن قوم من الفلاسفة انه اكتساب وقال قوم هو عرض مخالف لسائر العلوم والاعراض وعن قوم هو مادة وطبيعة وقال آخرون هو جوهر بسيط (قلت) وبعض هذه الاقوال التي خالفها هي نحو من الأقوال التي جعلها متقاربة فان من قال هو العلم الذي يمتنع به من فعل القبيح لم يجد العقل الذي هو مناط التكليف الذي يفرق به بين العاقل والمجنون الذي حدّوه هم وجعلوه ضربا من العلوم الضرورية بل هذا العقل هو مناط النجاة والسعادة وهو من العقل الممدوح الذي صنفت الكتب في فضله والذي حدّوه أولا قد يفعل صاحبه أنواع القبائح ويكون ممن قيل فيه لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وهذا العقل الممدوح قد يكون اكتسابا وأيضا من قال هو عرض مخالف لسائر العلوم والاعراض فقوله موافق لقول من قال هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وقول أحمد هو غريزة يتناول هذه القوة ولهذا فرق بين ذلك وبين العلم وأبو الحسن التميمي قال هو كالعلم ولم يقل هو من العلم *فيها أمور* أحدها علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف* والثاني علوم مكتسبة تدعو الانسان الى فعل ما ينفعه وترك ما يضره فهذا أيضا لا نزاع في وجوده وهو داخل فيما يحمد بها عند الله من العقل ومن عدم هذا دام وان كان من الأول وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع وقد عدمه من قال لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * الثالث العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضا بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح وهذان النوعان لم ينازع الأولون في وجودهما ولا في أنهما يسميان عقلا ولكن قالوا كلاما في العقل الذي هو مناط التكليف للفرق بين العاقل والمجنون وهذان لا يدخلان في ذلك فالنزاع فيهما لفظي* الأمر الرابع الغريزة التي بها يعقل الانسان فهذه مما تنوزع في وجودها فانكر كثير من الاولين ان يكون في الانسان قوة يعلم بها غير العلم وقوة يبصر بها غير البصر أو قوة يسمع بها غير السمع وجعلوا اثبات ذلك من جنس قول الفلاسفة والطائفة الذين جعلوا في الانسان قوى يعقل بها وقد تابع في ذلك طوائف منهم القاضي أبو بكر البرني في الخواص والقواصم

وأصل ذلك تقريرهم أن الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره وهذا مذهب سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهو أحسن ما امتاز به الاشعري عن طوائف المتكلمين وبالغ في ذلك حتى جعل أخص أوصاف الرب القدرة على الاختراع ورغم ان هذا معنى الالهية وفي الاصل رد على القدرية القائلين بأن الله تعالى لم يخلق افعال الحيوان وعلى الفلاسفة واتباعهم من أهل النجوم والطبع القائلين بفاعل غير الله لكن زاد من زاد منهم في ذلك أشياء ليست من السنة بل تخالف السنة حتى ردوا بدعة ببدعة فدخل نفيهم في اثبات الحق الذي أنكره السلف والائمة حتى توسل بذلك قوم الى إسقاط الامر والنهي والوعد والوعيد وأنكر من أنكر منهم ما جعله الله تعالى من الاسباب حتى جروا عن الشرع والعقل وقالوا إن الله يحدث الشبع والري عند وجود الأكل والشرب لا به وكذلك يحدث الممات عند نزول المطر لا به ونحو ذلك وهذا خلاف ما جاء به الكتاب والسنة قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات) وقال تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) وقال تعالى (فاحيينا به بلدة ميتا) وقال تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) وقال (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) ومثل هذا كثير ونفي هذه الاسباب أن تكون أسبابا في الامور المخلوقة هو شبيه ببعض طوائف من المتصوفة ونحوهم لما يأمرون به من اعمال القلوب وغيرها من الامور المشروعة نظرا الى القدر ودعوى التوكل كما قد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع ولهذا قال من نظر الى هذين الاخوين كأبي حامد الغزالي وأبي الفرج الجوزي وغيرهما في كتاب التوكل «اعلم ان الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ونفي الاسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه العقل ... الاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع» والسلف والائمة متفقون على اثبات هذه القوى والقوى التي بها العقل كالقوى التي بها يبصر والله تعالى خالق ذلك كله كما ان العبد يفعل بقدرته الاختيارية بهم والله تعالى خالقه وخالق قدرته فانه لا حول ولا قوة الا بالله «والحول اسم لكل تحول من حال الى حال والقوة عام في كل قوة حتى الحول هو في القوة كما ان الحيلة ... لكن نحن نعبر هنا الموضع فيما يقع من الاشتباه والنزاع في قاعدة الفعل هل هي من القوة التي هي ... أو في بعض صفاته أو غير

مؤثرة بحال * وقد وقع تسمية هذه القوة عقلا فى كلام طوائف منهم أبو المعالي الجويني ذكر في أصول الفقه أن العقل معنى يدرك به العلم وجملة صفات الحي وكان يقول في التعليق انه تثبيت سمة ادراك النفس وقد خالفه صاحبه أبو القاسم الانصارى وقال هذا فيه نظر فاعلموه * وقال المحققون من أئمتنا العقل هو العلم بدليل أنه لا يقال عقلت وما علمت أو علمت وما عقلت وان كان فرق بين اللفظين في اطلاق أهل العرف وتقييدهم * وهذا كما أن العالم في الحقيقة ذو العلم سواء كان العلم علم الشريعة والدين أو غيره من العلوم واذا أطلق مطلق فقال رأيت العلماء أو جاءنى عالم فلا يفهم من اطلاقه اصحاب الحرف والصناعات بل لا يفهم منه الا علماء الشريعة وكذلك العقل اذا اطلق فانما يراد به عقل التكليف وهو ما به يمكن التمييز والاستدلال على ما وراء المحسوس ويخرج به صاحبه عن حد المتوهين وتسميه العقلاء عاقلا * وهذا قول أبي الحسن وانما قاله لان النحل تراه ينسج أشكالا مسدسة يعجز عنها كثير من العقلاء وكذلك غير النحل من البهائم والنمل فلهذا قال العامل من تسميه العقلاء عاقلا * والعقل المقيد يتناول حد العلم فلهذا قال الشافعي رحمة الله عليه (الحمام أعقل الطائر) عنى به أكيس الطير * وقد ذكر أيضا أبو بكر بن فورك عن الائمة فى العقل أقوالا ثم ردها وحملها على محامل فنقل عن الشافعي وأبي عبد الله بن محاهد أنهما قالا العقل آلة التمييز * وحكى عن أبي العباس القلانسي قال العقل قوة التمييز * وعن الحارث المحاسبي انه قال العقل أنوار وبصائر * ثم قال الوجه أن لا يصح ما ينقل عن هؤلاء الائمة فان الآلة تستعمل فى الاجسام المدية واستعمالها فى الاعراض مجاز * على أنا نقول كل حاسة من الحواس آله التمييز وليست عقلا ولا المؤمنون بها عقلاء والكفار معهم عقول ومعهم آله التمييز ثم لا يميزون بين الحق والباطل فان قالوا أردنا بذلك أنه يصح بها التمييز والاستدلال والكفار يصح منهم ذلك قلنا هذا يبطل بالدليل والنظر وقول الرسول والمفتي فان كل واحد ممن ذكرناه يميز به بين الاحكام وليس ذلك من العقل في شئ فان صحت هذه الحكاية فان المعنى بها ما يقع به التمييز ويمكن معه الاستدلال على ما وراء المحسوس والخلاف يرجع الى العبارة * قال والشافعي رحمه الله تعالى لم يسلك مسالك المتكلمين ولم يراع ما راعوه وكذلك لا يعقل من القوة الا القدرة والقلانسي أطلق ما أطلقه بوسمه في العبارة * وكذلك المحاسبي إذ العقل ليس بصيرة ولا نور ولكن يستفاد به النور والبصائر * قال أبو القاسم الانصاري ولا اختلاف بين أصحابنا في المعنى فقد سمي

الله تعالى الايمان نورا فقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وشيخنا الامام (يعني أبا المعالي) أطلق ما اطلقه توسعا ولو كان العقل بمعنى يدرك به العلم فما العلم الذي يدرك به العقل وكيف يتميز أحدهما عن الآخر لاسيما والعلم عنده خارج عن قبيل الاعتقاد (قلت) لايخفى ما في هذا الكلام من الغض عن الائمة الذين هم أحق بالحق وكلامهم سديد فان القوة التي جعل الله بها العلم والعمل لم ينكرها من العقلاء الا من وافق هؤلاء على نفيها *وقول الشافعي واحمد والمحاسبي ومن وافقهم قول واحد * وانما رد قولهم بالباطل *وأما قوله ان الآلة انما تستعمل في الاجسام وهي من الاعراض مجاز * فيقال له هذا ممنوع ثم الشافعي انما استعملها مقيدة بالاضافة فلو كانت عند الاطلاق لا تتناول الا جسما لكانت مع الاضافة التي ذكرها كقولهم ابرة الدراع * وأرنبة الانف * واسان العين * وقلب الاسد * وقلب العقرب * ونحو ذلك مما احدثت فيه الاضافة فمن الناس من يقول هذا مجاز والمحققون يعلمون أن هذا وضع جديد لم يستعمل فيه اللفظ في غير موضوعه اذ هذا المضاف لم يكن موضوعا لغير هذا المعنى *ثم هب أن ذلك مجاز فأي عيب في ذلك اذا ظهر المقصود ومن الذي قال ان الحد والدليل لا يستعمل فيهما المجاز المقرون بما يبين معناه *دعه ما ليس حدا * وأما قوله فعلى طريقة من يفرق بين الحد والرسم وأما من يجعل المقصود بالحد هو التمييز بين المحدود وغيره كما هو مذهب المتكلمين فالجميع يسمى عنده حدا * وأما قوله كل حاسة من الحواس آلة التمييز فليس كذلك لان الحاسة لا يتميز بها بين الاشياء بل مجرد السمع الذي يدرك الصوت لا يميز بين الصوت وغيره بل يحس الصوت *ثم الحكم على الصوت بأنه غير اللون يعرف بغير الحاسة وهو العقل وبه يعرف غلط الحس اذ الأحول يرى الواحد اثنين والمرور يجد الحلو مرا لكن العقل به يميز سلامة الحس من فساده اذ قد استقر عنده ما يدرك بالحس السليم فاذا رأى من له عقل حسا يدرك خلاف ذلك علم فساده وطرق سبب فساده وكذلك المحموم قد يرى أحمر وأحمر وأبيض وأبيض ولا يميز بين الدينار والدرهم وغيره ولا بين الايام ولا بين ثوبه وثوب غيره وفعله وفعل غيره مع وجود حسه *وأما الكفار فلهم التمييز الذي يصح معه التكليف الذي به فارقوا المجنون وليس من شرط عقل كل تمييز كل حق من كل باطل بل هذا لا يوجد لغالبة الخلق * وأما خصمه بالدين والنظر فذلك يعرفه شيء لعينه ليس هو آلة لكل تمييز والعقل آلة لكل تمييز به يميز بين دليل وشبه ونظر وبطر

وأما قول أبي القاسم لو كان العقل معنى يدرك به العلم فهم يميز العلم عنه فقول ضعيف فانه اذا كان يميز بين أنواع العلم فيميز بين الضروري وغيره وما يحصل بالحواس وغيره فكيف لا يميز بينه وبين القوة التي بها يحصل كما يميز بين الابصار وبين قوة البصر فانا نعلم أن في العين قوة فارقت بها قوة اليد حتى كان هذه يرى بها وهذه لا يرى بها ونعلم أن في العقل قوة فارق بها المجنون حتى كان هذا يعقل وهذا لا يعقل وان قدر انه ساه عن العلم «وعمدة الجمهور الذين قالوا ليس العقل الا ضرب من العلوم الضرورية انهم قالوا ليس بجوهر لان الدليل قد دل على ان الجواهر كلها من جنس واحد خلافا للملاحدة في قولهم مختلفة لان معنى المثلين ما يسد احدهما مسد صاحبه وينوب منابه والجواهر على هذا لان كل واحد منها متحرك وساكن وعالم فلو كان العقل جوهرا لكان من جنس العاقل ولا يستغني العاقل بوجود نفسه في كونه عاقلا عن وجود مثله وما هو من جنسه وقد ثبت انه ليس بعاقل نفسه فمحال أن يكون عاقلا بجوهر من جنسه ولأنه لو كان جوهرا لصح قيامه بذاته ووجوده لا بعاقل ولصح أن يعمل ويكلف لان ذلك مما يجوز على الجواهر وفي امتناع ذلك دليل على انه ليس بجوهر وثبت انه عبر عرض قالوا ومحال أن يكون عرضا غير سائر العلوم حتى يكون الكامل العقل غير عالم بنفسه ولا بالمدركات ولا بشيء من الضروريات اذ لا دليل يوجب تضمن احدهما للاخر وذلك نهاية الاحاله ومحال أن يكون اكتسابا لانه يؤدي الى ان الصبي ومن عدمت منه الحواس الخمس ليسوا بعقلاء لانه لا طريق لهم ولا استدلال يكتسبون به العقل وفي الاجماع على حصول الحي العاقل منهم دليل على فساد هذا ولا يجوز أن يكون العقل هو الحياة لان العقل سطل ويزول ولا يخرج الحي عن كونه حيا وقد يكون الحي حيا وان لم يكن عالما بشيء أصلا ولا يجوز أن يكون هو جميع العلوم الضرورية ولا العلوم التي تتبع عقيب الادراكات الخمسة لان هذا يؤدي الى ان الاحمق والاطرش والاكمه ليسوا بعقلاء لانهم لا يدركون المشاهدات والمسموعات والمدركات التي تعلم اضطرارا لا باستدلال ولا يجوز أيضا أن يكون العلم بحسن حسن وقبح قبيح ووجوب واجب وتحريم محرم من جملة العلوم التي هي عمل لان هذه الاحكام كلها معلومة من جهة السمع دون تعلق العقل فوجب أن يكون بعض علوم الضرورة هو ما ذكره وما كان في معناه من ان الموجود لا يخرج عن أن يكون جوهرا أو عرضا وان الموجود لا يكون موجودا معدوما في حال

واحدة وان المتحرك عن المكان لايجوز أن يكون ساكنا فيه في حال واحدة وان الذات الواحدة لايجوز أن تكون حية ميتة ونحو ذلك من الاوصاف المتضادة فهذا الدليل هو عمدتهم كلهم في الجملة وهذه الفاظ القاضي أبي يعلي الفراء وهذا القول قالته المعتزلة قبل المتكلمة الصفاتية ومن اتبعهم ولكن ادخلوا فيه العلم بحسن افعال وقبحها قال أبو علي الجبائي العقل عشرة أنواع من العلم وعد فيها العلوم البديهية والعلوم الصادرة عن الحواس والعلم بحسن الشيء وقبحه ووجوب شكر المنعم وقبح الكفر والظلم والكذب والمتكلمة الصفاتية الذين قالوا انه بعض العلوم الضرورية لم يميزوه تمييز مضبوط بل كثيرهم القاضي أبو بكر قرر انه بعض العلوم الضرورية كما تقدم وملخص تلك الحجة انه لايجوز الاتصاف بالعقل مع الخلو عن جميع العلوم أو بعضها فثبت انه من العلوم وليس هو من العلوم النظرية اذ شرط ابتداء النظر تقدم العقل فانحصر العقل اذاً في العلوم الضرورية ويستحيل أن يقال هو جميع العلوم الضرورية ومن لايدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه فاستبان بذلك ان العقل من العلوم الضرورية وليس كلها وسبيل تعيينه والتنصيص عليه أن يقال كل علم لايخلو العاقل منه عند الذكر ولايشاركه فيه من ليس بعاقل اشارة الى العلوم الصادرة عن الحواس والعلوم بالآلام واللذات فانه يستوي في دركها العقلاء وغيرهم من الاطفال والبهائم وهذا اذا قلنا للبهائم علوم بالمحسوسات فيخرج من مقتضي السبر انه العلوم الضرورية نحو الحائرات واستحالة المستحيلات والعلم بان المعلوم لايخلو عن نفي أو اثبات والموجود لايخلو من القدم والحدوث والحر لايخلو من الصدق والكذب وعد القاضي من دلالات العلم مجاري العادات وهذه الحجة التي احتجوا بها ليست صحيحة وان كانت في نادي الرأي مهمة اذ مدار الحجة على انه لو لم يكن من العلوم لامكن وجوده بدون العلم لعدم الدليل على تلازمهما وهم يعبرون عن هذه السكتة بعبارات تارة يقولون اذا كانا خلافين غير ضدين امكن وجود أحدهما مع عدم الآخر كالحياة والعلم والقدرة وتارة يقولون ماتقدم وتارة يجعلون ذلك كأنه مقدمة بينة أو مسلمة فيقولون لو لم يكن من العلم لجاز أن يخلو العاقل عن جميع العلم وكل عدا ضديه ليس كل خلافين يجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر بل الجائزون قد يكونان متلازمين من بعض الوجوه كالحس مع القدرة لاضديه وكالحس مع العلم الحاصل عقيب الاحساس بل قد يكونان متلازمين من جميع الوجوه كل معلول علة وكل

متضايفين كالابوة والبنوة فانهما متخالفين ومع هذا فعدمهما متلازمان لايجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر فضلا عن ضده وقولهم لادليل حينئذ على تضمن أحدهما الآخر ليس بسديد لوجهين * أحدهما أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه فى نفس الأمر فلا يكفى في نفى تلازمهما مجرد عدم دليله * الثاني اذا قدر أن العقل هو الغريزة كان العلم باستلزامه العلم ضروريا لايحتاج الى دليل فان وجود السمع شرط فى العلم كما ان وجود البصر مستلزم للقوة التى بها يسمع ويبصر والمشروط بدون شرطه محال وان كان هذا شرطا فى العادة والله قادر على خرق العادة فان الكلام فى الواقع لافيما يمكن وقوعه وأيضا فاذا قيل ان العقل اسم لمجموع الغريزة والعلم الحاصل بها كان ماذكروه نعص مسمى العقل فلا يوجد اسم العقل الامع وجوده وان لم يكن هو مجموع العقل وأيضا فمن المعلوم انه يدخل في مسمى العقل العمل الذي يختص به العقلاء من جلب المنفعة ودفع المضرة وهذا مما يفرق به بين العاقل والمجنون فى عرف الناس كما يفرق بينهما بعلوم ضرورية فليس جعله اسما للعلوم الضرورية بأولى من جعله اسما للاعمال الضرورية التى لايخلو العاقل منها فانه من رؤى يلقي نفسه فى نار أو ماء فيحرق أو نحو ذلك من المضار التي لافائدة فيها ونحو ذلك من الافعال الخارجة عن أفعال العقلاء سلب عنه العقل حتى ينتهى الى حدّ المجنون واذا كان كذلك فهم بين أمرين ان جعلوا هذه الاعمال أعمال العقلاء داخلة فى مسمى العقل بطل قولهم هو من جنس العلم فقط وان قالوا أفعال العقلاء دليل على العلم الذى هو عقل وكذلك أفعال المجانين دليل على فوات هذه العلوم قيل لهم حينئذ قد صار العقل يستلزم أمورا ليست داخلة فى مسماه فلا يمتنع حينئذ ان يقال هو الغريزة المستلزمة لهذه العلوم كما قيل هو العلوم المستلزمة لهذه الاعمال

﴿الوجه السابع﴾ ان هذا مما يبين كذب هذا الحديث المروى كما رووه فان العقل اذا كان فى امة المسلمين هو عرض قائم بغيره لم يكن مما يحلق مجردا عن العاقل وانما يخلق بعد خلق العقلاء وأيضا فان مثل هذا لايحاط ولا يقدر ولا يدبر وأيضا فقوله ماخلقت خلقا أكرم على منك لايجوز ان يضاف الى الله تعالى فانه من المعلوم ان الانبياء والملائكة أكرم على الله منه اذ كان في بعض صفاتهم ولو قدر ان العقل في نفسه يكون جوهرا أو ملكا وقدر ان هذا اللفظ قاله الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] ما تبين به العقلاء من غيرهم ومن سلك سبيلهم لما بينا انه يدل على انه خلق

قبله خلقا آخر وأيضا فقوله بك آخذ وبك أعطي بك الثواب وبك العقاب خصه بهذه الاعراض وعندهم هو المبدع لكل ماسواه من العقول والنفوس البشرية والعناصر والمولدات فكيف يخصه باربعة أعراض وأيضا فقوله (لما خلقه قال له أقبل فاقبل) يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه وعندهم يمتنع ان يكون خلقه في زمان بل يمتنع ان يكون مخلوقا عندهم كما تقدم ﴿ الوجه الثامن ﴾ ان هؤلاء سمعوا في الحديث ان أول ماخلق الله القلم وهذا الحديث معروف ليس مثل الأول رواه أبو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس وغيره من الصحابة لكن السلف متنازعون هل المراد بذلك أول ماخلقه من هذا العالم الذي خلقه في ستة أيام كما قال (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وعلى هذا القول فالعرش كان مخلوقا قبل ذلك أوهو مخلوق قبل العرش على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره والاحاديث الصحيحة تدل على القول الاول فقال هؤلاء ان ذلك الذي تسميه الفلاسفة العقل الأول هو العلم وهذا كثير في كلامهم وفي كلام صاحب جواهر القرآن وهو نوع من كلام القرامطة قال في الجواهر وأعلم ان القرآن والاحاديث تشتمل على كثير من هذا الجنس فانظر الى قوله قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فان روح الأصبع القدرة على سرعة التقليب وانما قلب المؤمن بين لمة ملك ولمة شيطان هذا يهديه وهذا يغويه والله تعالى يقلب قلوب العباد كما تقلب أنت الاشياء باصبعك وانظر كيف يشارك نسبة الملكين المسخرين الى الله تعالى أصبعك في روح الأصبعية وخالف في الصورة واستجرح من هذا قوله ان الله خلق آدم على صورته وسائر الايات والاحاديث الموهمة عند الجهلة للتشبيه والذكي يتنبه بمثال واحد والبليد لايزيده التكثير الا تحيرا ومهما عرفت معنى الاصبع امكنك الترقي الى القدم واليد واليمين والوجه والصورة وأحدث جميعها أمرا روحانيا لاجسمانيا فتعلم ان روح القلم وحقيقته التي لابد من تحقيقها اذا ذكرت حد القلم وهو الذي يكتب به وان كان في الوجود شيء يسطر بواسطته يقتبس العلوم في الواح القلوب فأحق به ان يكون هو القلم من الله علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وهذا القلم روحاني اذ وجد فيه روح العلم وحقيقته ولم يعره الا قابله وصورته وكون القلم من خشب أو قصب ليس من حقيقة القلم ودلالته لا يوجد في حد الحقيقي ولكل شيء حد وحقيقة هي روحه فاذا اهتديت الى الأرواح صرت

روحانيا وفتحت لك ابواب الملكوت وأهلت لموافقة الملأ الأعلى وحسن أولئك رفيقا ولا تستبعد ان يكون في القرآن اشارات من هذا الجنس فان كنت لاتقدر على مايقرع سمعك من هذا النمط مالم يسند التفسير الى الصحابة فان التقليد عالب عليك فانظر الى تفسير قوله تعالى على ماقاله المفسرون (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) الآية وأنه كيف مثل العلم بالماء والقلوب بالأودية والينابيع والضلال بالزبد ثم ذهب في آخرها فقال كذلك يضرب الله الأمثال ويكفيك هذا القدر من هذا المعنى فلا تطيق اكثر منه وبالجملة فاعلم ان كل مالايحتمله فهمك فان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذى لو كنت فى النوم مطالعا بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير واعلم ان التأويل يجرى مجرى التعبير انتهى كلامه فهذا الكلام ونحوه من جنس كلام الفلاسفة القرامطة فيما اخبر الله به من أمور الايمان بالله واليوم الآخر يجعلون ذلك أمثالا مضروبة لتفهم الرب والملائكة والمعاد وغير ذلك والكلام عليهم مبسوط في غير هذا الموضع وصاحب الجواهر اكثر نظره في كلامهم واستمداده منهم مرح فى كلامه كثيرا من كلامهم وان كان قد يكفرهم بكثير مما يوافقهم عليه فى موضع آخر وفى أواخر كلامه قطع بان كلامهم لا يفيد علما ولا يقينا بل وكذلك قطع فى كلام المتكلمين وآخر ما اشتغل به النظر فى صحيح البخارى ومسلم ومات وهو مشتغل بذلك وانما المقصود هنا التنبيه على ماذكروه فان كثيرا اعتروا بهذا لاسيما وجدوه في كلامه وحرمته عند المسلمين ليست مثل حرمة من لم يدخل فى امته والتصوف دخوله ولهذا كثر فيه كلام أئمة طوائف الفقهاء والصوفية مثل أبى بكر الطرطوشى وأبى عبد الله المازرى المعربى وغيرهما من المالكية ومثل أبي الحسن الرعينى وأبى الوليد القرشى وأبي عمرو بن الصلاح وابن شكر وأولاد القشيرى وغيرهم من الشافعية ومثل أبي يعلى بن الفراء وأبي الخطاب الكلوذانى وغيرهما من الحنابلة مع ان هذين أقرب الى مذاهب السلف من غيرهما من الحنفية وأما احتجاجه فكلامهم فيه لون آخر وكانت قد حضرت له قصة معروفة معهم ومع أصحاب شافعية وحنفية ذكرها باطل من وجوه كثيرة منها ان العلم اذا كان أول نظرى وهو المتولد عن العلم الضروري بمقدمات يسيرة مما يعلمه كل عاقل من بنى آدم لان ذلك يحتاج الى مقدمات قليلة وهذا الذى ذكره المحاسبى على زعمهم هو العقل الأول والثانى ان

تسمية الملائكة التي يجعلونها هي المقول أقلام اذ تسميه بعضهم قلما شيء لا يعرف في كلام أحد من الامم لا حقيقة ولا مجازا اصلا والتعبير بلفظ القلم عن ملك يكون عندهم قد أبدع هذا الوجود من أبطل الباطل * الثالث ان الذي في الحديث ان الله خلق القلم وأمره ان يكتب في اللوح قبل خلق بني آدم بل في صحيح مسلم ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فكيف يكون انما سمي قلما لانه ينقش العلوم في قلوب بني آدم * الرابع ان خاصية القلم كونه يكتب به فاذا قدر ان خاصية شيء من الاشياء ان يكتب به أمكن تشبيهه بالقلم أما اذا كانت له أفعال عظيمة غير ذلك فليس تشبيهه بالقلم باولى من تشبيهه بغير ذلك والعقل عندهم قد صدرت عنه الجواهر والمواد والصور وما يقوم به النفوس والاجسام من جميع الاعراض كالحياة والعلم والقدرة والكلام والاكوان والالوان والطعوم والروائح وغير ذلك فلاى شيء يسمى باسم عرض من الاعراض التي تصدر عنه دون ان يسمى بما تقتضيه سائر الاعراض بل والجواهر التي صدرت عنه وهو عندهم قد فاض الالواح التي تكتب فيها فهل يكون القلم مبدعا للوح وهل في الحديث ان اللوح تولد عن القلم أو مايشبه ذلك واين صار تسميه هذا قلما فتسمية لسان الانسان قلما أقرب فانه جسم مستطيل مستدق الرأس يشبه القلم وهو اذا خاطب بالقلم نفس العلم في العلم وخاصيته هي التفهيم دون سائر الافعال وقد يقال للقلم أحد اللسانين فتسمية اللسان قلما أشبه وأنسب ومع هذا فلم يسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم أو واحدا من الصحابة اراد بلفظ القلم اللسان كما انه أو لسان الملك الذي يرتضيه فكيف اذا عبر به عما هو أبعد من ذلك * الخامس ان السلفيين يعنون بالاصطرار ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بالقلم ما تريده الفلاسفة امط العقل السادس انه من الذي قال ما يوجد في قلوب بني آدم من العلم انما هو من فيض العقل الفعال الذي تقوله الفلاسفة فما دليل الفلاسفة على ذلك ضعيف بل باطل واما كتب الالهية لم تخبر بذلك بل الاخبار الالهية تدل على تعدد ما يأتي في قلوب بني آدم وانه ليس ملكا واحدا بل ملائكة كثيرون وقد وكلت بهم ايضا الشياطين فمنع أن يكون في الوجود ما يبقى الا على الوجوه التي ذكروها بل الامر بالعكس وهذا الامر الذي ذكرناه انما هو الواضح الصحيح تسميه كل من تكلم العلم قلما ان كان التكلم لا يشترط في مسماه أن يكون من يده مخصوصة فلا بد له من صورة من أي مادة كانت كما قال ابن زيد ما في الارض من

شجرة الاقلام) وقال تعالى (اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) الثامن * قوله لكل شئ حد وحقيقة هي روحه وهو انما عني به مثلا كونه كاتبا كما جعل حقيقة القلم وحده كونه ينقش العلم وجعل هذا الحد والحقيقة موجودة في العقل ومعلوم بطلان هذا بالاضطرار فان حقيقة الجواهر الموجودة لا تكون مجرد كونه موصوفا بفعل منفصل عنه أو متصل به ولو قدر أن تلك الصفة توجد في حده لكانت فصلا تميزه عن غيره مع مشاركة غيره له في الجنس المشترك وذلك يمنع ثبوت الحقيقة لغيره أما أن يجعل هي الحد والحقيقة وحدها فهذا ظاهرا لبطلان (التاسع) انه قد ذكرنا ان للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره * أحدهما ان القلم خلق أولا كما اطلق ذلك غير واحد وذلك هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من صنف في الاوائل كالحافظ أبي عروبة بن أبي معشر الحراني وأبي القاسم الطبراني للحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت انه قال يابني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال يارب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة يابني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني * والثاني ان العرش خلق أولا قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدي حدثنا سفيان الثوري حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيأ فكان أول ماخلق الله القلم فامره أن يكتب ماهو كائن وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ورواه أيضا أبو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح أصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس ان اناسا يقولون في القدر قال يكذبون بالكتاب الذي أحدث بشعر أحدهم لا تصوبه أي لا تحدث باصيته ان الله كان على عرشه قبل ان يخلق شيئا خلق القلم وكتب ماهو كائن الى يوم القيامة وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منه وكذلك ذكر الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات لما ذكر بدأ الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو عن عمران بن حصين وغيرهما وسنذكر هذين الحديثين ان شاء الله تعالى ثم ذكر حديث الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس انه سئل عن اول الله تعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان على الماء قال على متن الريح وروى حديث القاسم بن ابي بزه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اول شيء خلقه الله القلم وامره فكتب كل شيء يكون قال البيهقي ويروي ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعا قال البيهقي وانما اراد والله اعلم اول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش القلم وذلك بين في حديث عمران بن حصين ثم خلق السموات والارض وفي حديث ابن طيبان عن ابن عباس موقوفا عليه ثم خلق النون فدحا الارض عليها وروى باسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الاعمش عن ابي طيبان عن ابن عباس قال اول ماخلق الله عز وجل من شيء القلم فقال له اكتب فقال يارب وما اكتب قال اكتب القدر فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء فمنه السموات واصطرت النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فهي تسعى على الارض الى يوم القيامة (قلت) حديث عمران بن حصين الذي ذكروه هو مارواه البخاري من غير وجه منها مارواه في كتاب التوحيد في باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم * قال ابو العالية استوى الى السماء ارتفع وقال مجاهد استوى علا على العرش وذكر من حديث ابي جمرة عن الاعمش عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال اتى عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى ياأهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الامر قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال ياعمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم رواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن ابي اسحاق الهمداني عن الاعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ناقتي بالباب ثم دخلت فأتاه نفر من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعط لنا مرتين من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها احد منكم من بني تميم قالوا قبلنا

يارسول الله أتيناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الامر كيف كان قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض قال ثم أتاني رجل فقال أدرك ناقتك قد ذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب وأيم الله لوددت اني كنت تركتها في الحديث الصحيح بيان انه كتب في الذكر ماكتبه بعد ان كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السموات والارض وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب أخبرني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء ورواه مسلم أيضا من حديث حيوة ونافع بن يزيد كلاهما عن أبي هانيء الخولاني مثله غير انهما لم يذكرا وعرشه على الماء وقد رواه البيهقي من حديث حيوة بن شريح الحمري أبو هانيء الخولاني انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنه ورواه البيهقي أيضا من حديث ابن أبي مريم حدثنا الليث ونافع بن يزيد قالا حدثنا أبو هانيء عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الله من المقادير أمور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وعرشه على الماء بخمسين الف سنة ففي هذا الحديث الصحيح ماقي ذلك الحديث من أنه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض لكن بين فيه مقدار السبق وان ذلك قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنه وقد استدل بهذه الزيادة الأئمة وابن المبارك وابن سعد وعبد الله بن وهب بقوله في الحديث فرغ الله من المقادير أمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعرشه على الماء بخمسين الف سنة وفي حديث عبادة الذي في السنن انه لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال هو كائن الى يوم القيامة ركذلك في حديث ابن عباس وغيره وهذا بين انما أمره حينئذ بكتب ما هو كائن الى يوم القيامة لم يأمره حينئذ بما يكون بعد ذلك وهذا مما يبين من معنى قوله خلق الله من كل شيء ومقدره تقديرا وبين معنى الاحاديث التي في الصحاح والسنن والمسانيد

والآثار التي عن الصحابة والتابعين بين ان هذا القلم ليس مايدعيه هؤلاء انه الذي يسمونه العقل الاول أو الفعال فانه أمر بأن يكتب فقط لا ان يفعل شيئا غير ذلك والعقل عندهم أبدع جميع الكائنات وأمره أن يكتب في الذكر وهو اللوح فيكون اللوح قد خلق قبل أن يكتب القلم شيأ اذ الكتابة لا تكون الا في لوح وأيضا فانه أمره بالكتابة فعرفت تلك الكتابة كما قال فرع الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وعندهم العلم اذا فسروه بالعقل الذي ينقش العلوم في قلوب بني آدم كتابة دائمة كلما حدث انسان كتب في قلبه ما يكتبه الى موته وكذلك ان فسروه بالعقل الاول فان كتابته دائمة وأيضا فانه كتب في الذكر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعندهم ان العقل مقارن للسموات لم يتقدمها وأيضا فحاصله في الحديثين الصحيحين ما يوافق القرآن من ان العرش كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض وذكره فيها ان التقدير وهو الكتابة بالقلم كان بعد ذلك كما جاء عن الصحابة يبطل ان يكون العقل الاول هو أول المخلوقات وان سموه هم فما قبل يبطل ان يكون القلم الذي ذكره السلف أيضا مخلوقا قبل العرش وفي ذلك آثار متعددة قال سليمان بن سيد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء وقال أيضا ثنا عبد الله بن صالح المصري ثنا ابن لهيعة ورشدين بن سعد عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال لما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق شيئا اذ كان عرشه الماء واذ لا أرض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطرب أمواجه وآثار زبده فخرج من الماء دخانا وعلا فوقه فسمى السحاب فعلا وسما فخلق منه السموات وبقي من الغثيين الارضين فجاش من الرند الجبال وروى الثوري من حديث الاشيب ثنا أبو هلال محمد بن سالم ثنا حباب الاعرج قال كنت عند عبد الله بن أبي مسلم الى جانب زيد يسأله عن بدء الخلق قال الريح والماء والظلم والله أعلم أي ذلك بدأ قبل وروى من حديث سعيد بن منصور ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وقال بدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء وجاش الاقوات ونبت الارض يوم الخميس ويوم الجمعة [illegible] يوم السبت وبقي من الستة الايام كانت ستة ايام وروى باسناد عن [illegible] ان عبد الله عن أخيه عبد الله عن [illegible]

ساعه لا يوافقها أحد يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه اياه قال فقال عبد الله بن سلام ان الله ابتدأ الخلق فخلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق السموات يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق الاقوات وما في الارض يوم الخميس الى صلاة العصر وهي ما بين صلاة العصر الى أن تغرب الشمس والآثار في هذا كثيرة وان كان قد تنوزع هل كان بدء خلق هذا العالم يوم السبت أو يوم الاحد وقد روى في ابتداء يوم السبت حديث رواه مسلم فالذي عليه الجمهور وعامة الاحاديث ان ابتداءه يوم الاحد فاذا ثبت بالنصوص الصحيحة ان العرش خلق أولا وان التقدير كان لهذا الخلق بطل أصل حجتهم *ومما يوضح ذلك ما ذكره البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق فقال وروي عيسى عن رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر يقول قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه فهو قد ذكر المبتدأ وجعل المنتهى دخول الدارين ومعلوم ان مايكون بعد ذلك من تفاصيل أحوال أهل الدارين لم يدخل في هذا فعلم انه أريد بهذا الخلق وذكر البخاري أيضا الحديث الذي في الصحيحين عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي فقوله لما قضى الله الخلق أي أكمله وأتمه كما قال (فقضاهن سبع سموات في يومين) ومعلوم ان المراد بالخلق هنا خلق هذا العالم لا خلق الدار الآخرة وهو الاعادة فانه قال سبحانه (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده) وهذا كله يشهد لأن هذا الخلق هو المقدم على القلم كما تقدم وان قيل قد احتج طوائف من أهل السنة على ان القرآن غير مخلوق بهذه الآثار وهي قوله أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قالوا فبين انه أول مخلوق وان خاطبه بالكتابة ولو كان كلامه مخلوقا لكان يفتقر الى محل تقوم به ولكان كلامه مخلوقا قيل القلم فانه خلقه بكلامه قيل قد يقال حجتهم سقيمة وان كان العرش قبله فان الذين يقولون القرآن مخلوق يقولون هو مخلوق من المخلوقات في هذا العالم كسائر ما خلق فيه من الجواهر والاعراض وهو عندهم عرض خلقه قائما بعض أجسام العالم كما خلق أصوات الرياح ونحوها وعندهم هو جسم وعلى التقديرين هو عندهم جزء من هذا العالم فاذا ثبت ان أول ما خلقه من هذا العالم القلم بطل أن يكون خلق قبله شيأ من هذا العالم [illegible] النصوص والآثار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والتابعين متطابقة على ما دل عليه القرآن من أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام وان كان العرش مخلوقا قبل ذلك وهذا أيضا متفق عليه بين أهل الملل كاليهود والنصارى وهو مذكور في التوراة وغيرها كما ذكر في القرآن ولهذا شرع الله لاهل الملل اجتماع أهل المدينة في كل أسبوع يوما يعبدون الله فيه ويتخذونه عيدا وجعل للمسلمين يوم الجمعة الذي جمع فيه الخلق في الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وحذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وفي لفظ المقضي بينهم وفي المسند عن أبي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لأي شئ سمي يوم الجمعة قال لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم وفيها الصعقة والبعثة وفيها البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وفي المسند أيضا عن سلمان الفارسي قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أتدري مايوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أبوكم قال لكني أدري مايوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته الا كان كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وفي السنن الثلاثة والمسند عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي تقولون قد بليت أي بريت وفيه فقال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء عليهم السلام وفي الصحاح والسنن والمسند وغيرها عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ما من دابة الا

نزاع علم ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد لان القرآن قد أخبر ان الخلق كان في ستة أيام وهذا النقل المتواتر مع شهادة ما عند أهل الكتاب على ذلك وموافقة الاسماء وغير ذلك علم ضعف الحديث المعارض لذلك مع انه في نفسه متعارض والحديث قد رواه من طريق ابن جريج أخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن أبي خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل فهذا الحديث قد بين ما يوافق سائر الاحاديث من ان آدم خلق يوم الجمعة وانه خلق آخر الخلق ومعلوم بنصوص القرآن ان الخلق كان في ستة أيام وذلك يدل على ما وقع فيه من الوهم بذكر الخلق يوم السبت والمقصود هنا انه من المعلوم ان الأسبوع ليس له حد موجود في السماء كما يوجد في اليوم والليلة والشهر بل انما يعد عدا لان الله خلق هذا الخلق في ستة أيام ثم استوى على العرش فانتشرت أيام الأسبوع في العالم من جهة أخبار الانبياء ولم يعلم ذلك الا من أخذ عنهم ولهذا كانت الامم الذين لم يتلقوا ذلك ليس لايام الأسبوع في لغتهم ذكر بحال كالترك والبربر واذا نطقوا بها نطقوا بلغة الفرس مثلا أو العرب وكان في هذا الاجماع العام حفظ لايام الاسبوع وفيه تذكير بالاسبوع الاول الذي خلق الله فيه الخلق ومعلوم ان هذا الاجماع والاخبار بالخلق في ستة أيام معلوم بالاضطرار من دين أهل الملل وهؤلاء عندهم ان هذه السموات ما زالت هكذا ولا يزال هكذا متحركة على هذا الوجه من الازل الى الابد ولا يزال العقل الاول أو الفعال الذي يسمونه بالقلم هذا أو هذا مقارنا لها وليس عندهم قيامة تشق فيها السموات وتنفطر ويستحيل عندهم أن تكون السموات مسبوقة سبقا زمانيا بشيء من الاشياء لا بربها ولا بعرشه ولا بغير ذلك فضلا عن أن تكون مسبوقة بتقدير مقاديرها بخمسين الف سنة فهل يمكن أن يكون ما أخبر به الانبياء مطابقا لقولهم وان يكون ما يخبر به محمد صلى الله عليه وسلم أراد بما أخبر به ما يريده هؤلاء بما يذكرونه من تقسيمهم هذا مع ان كل من فهم الكلامين علم ان باطل بالاضطرار وان الكلامين متباينان قطعا وان كان في بعض ما يسمونه معاني ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا لا

منه فى كلام كل طائفة بل نحن نعلم بالاضطرار ان اليهود والنصارى كفار فى دين الاسلام ونعلم بالاضطرار انهم أكثر موافقة لما أخبر به الرسول ولما أمر به من هؤلاء. فكيف يمكن دعوى موافقة هؤلاء له بل هذا من أعظم الجهل والنفاق والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار وإن كان قد تحقق بعض الكفر والنفاق على بعض المؤمنين ويغفر الله له اذا كان مؤمنا إيمانا صحيحا مع جهله ببعض ما أخبر به الرسول وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم عن معمر قال قال الزهري ألا أحدثك بحديثين عجبين قال الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال اذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني فى الريح فى البحر فوالله لئن قدر علىّ ربي ليعذبني عذابا ماعذبه أحداً قال ففعلوا ذلك فقال الله للأرض أدّ ما أخذت فاذا هو قائم فقال له ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وقال الزهري وحدثني حميد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت قال الزهري ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل وهو فى الصحيح أيضا من حديث مالك وغيره عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا أنا مت فحرقوني ثم اذروا نصفي فى البر ونصفي فى البحر فوالله لئن قدر الله علىّ ليعذبني عذابا لايعذبه أحداً من العالمين فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله له وقد بسطنا الكلام على هذا الحديث فى مسئلة التكفير وما فيها من اضطراب الناس فى غير هذا الموضع وبينا ان من تأول قوله فى هذا الحديث قدر بمعنى ضيق أو بمعنى قضى فلم يصب مقصود الحديث وبينا ان المؤمن الذى لاريب فى إيمانه قد يخطئ فى بعض الامور العلمية الاعتقادية فيغفر له كما يغفر له ما يخطئ فيه من الأمور العملية وان حكم الوعيد على الكفر لايثبت فى حق الشخص المعين حتى تقوم عليه حجة الله التى بعث بها رسله كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وان الامة - والاعراب الذين حدثوا فى الاسلام - لايكونون بمنزلة من عاين النبوة وشاهد آيات النبوة حتى أنكر ما علمت به خطأ كما يكون حكمه فى الامة والاعراب الذين عاينوا النبوة وشاهدوا آيات

وذكرنا حديث حذيفة الذي فيه يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولان أدركنا آباءنا وهم يقولون لا إله الا الله فقيل لحذيفة ما يغني عنهم قول لا إله الا الله وهم لا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا قال تنجيهم من النار وذكرنا ان قول النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا دعاء وقد استجابه الله كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس هو في صحيح مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الرکب فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في اثرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون * كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم قد صح هذا من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد أنزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا أرسلها قال فألقى الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

[illegible]

﴿ الوجه الحادى عشر ﴾ قوله لا تستبعد ان يكون في القرآن اشارات من هذا الجنس ان أراد أن مثل هذه الاشارة تكون هى معنى الكلام ومقصوده فهذا تحريف الكلم عن مواضعه والحاد فى آيات الله من جنس ضلال القرامطه وأمثالهم من الملاحدة وان أراد ان الآية مع دلالتها على المعنى الذي يدل عليه لفظها قد يكون فيها اشارة الى معنى آخر يناسبه فهذا هو القياس والاعتبار فالذى تريده الصوفية بالاشارة هو الذى يريده الفقهاء بالقياس والاعتبار وهذا صحيح اذا روعيت شروطه عند أكثر العلماء ومعلوم ان مراده هنا هو القسم الاول وهو من جنس كلام القرامطة الملاحدة وأما ما استشهد به من قوله تعالى (أنزل من السماء ماء) فيقال لا خلاف بين المسلمين ان في القرآن أمثالا فى هذه الآية وفى غيرها بل يقال فيه أكثر من أربعين مثلا ومعلوم ان الممثل ليس هو الممثل به بل يشبهه من جهة المعنى المشترك وهذا شأن كل قياس وتمثيل واعتبار كما في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) الآيه وقوله (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) الآيه وأمثال ذلك وقوله (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية وهذه الآية وهى قوله (أنزل من السماء ماء) هى أيضا على ظاهرها كسائر الآيات مع تضمنها للمثل المذكور فانه سبحانه قال (أنزل من السماء ماء) وهو على ظاهره وهو الماء المعروف فانه أخبر بانزاله ثم أخبر بعد ذلك بالوعد الذى يخرج مما توقد عليه النار استيعاء حلية أو متاع ثم قال بعد ذلك ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فلما ذكر المثل والتشبيه وهما من الآيات التى قال فى آخرها ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ فقد صرح فيها بانه يضرب الامثال كما ضرب هذا المثل وفى بين سبحانه الاصل المشبه به ثم ذكر المشبه فاطلق الكلام على حقيقته ومجازه من غير ان أراد بالمثل كلا الوجهين فقد علم بطلان ما أراده من ذلك

الصحيحين عن ابي موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثنى الله به كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك

كلاهما بين فيه الممثل والممثل به وهل يجوز أن يراد بالكلام ما مثل به ولا يراد به عين المسمى باللفظ من غير دلالة ينصبها على ذلك ومعلوم ان هذا من جنس الاستعارة والتشبيه فهل يحمل اللفظ على ذلك مجرده وإن ساغ ذلك ساغ أن يقال (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) انه علي ابن أبي طالب وعيره ويقال في اللؤلؤ والمرجان إنهما الحسن والحسين لان هذا مات مسموما وهذا مات مقتولا وأمثال ذلك من تأويلات القرامطة الذين يحملون اللفظ على غير مسماه المعروف مجردشه بينهما من غير دلالة بل ولا استعمال لذلك اللفظ في ذلك المعنى الثاني في اللغة

﴿ الوجه الثاني عشر ﴾ قوله وان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذي لو كنت في النوم مطالعا لوحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير يتضمن أصلين فاسدين ليسا من أصول المسلمين بل من أصول الفلاسفة الصابئة وهي أن ما يخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء من أمور الغيب انما هو من جنس المثالات التي يراها الناس فان النائم تضرب له الامثال في منامه وقوع يشابه تأويل الرؤيا ولهذا كان مدار تأويل الرؤيا على معرفة القياس والاعتبار والرؤيا الصادقة وان كانت جزأ من ستة وأربعين جزأ من أجزاء النبوة وفي الصحيحين كان أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فرؤيا الانبياء كما قال ابن عباس وحي وقد لا تحتاج الى تعبير كما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده فأصبح يريد أن يذبحه حتى فداه الله وهذا قول المسلمين واليهود والنصارى خلاف ما يزعمه بعض الملاحدة كصاحب الفصوص من أن رؤياه كان تعبيرها ذبح الكبش وأن ابراهيم غلط في ذلك فلم يعرف تعبير الرؤيا حتى فداه ربه من وهم ابراهيم ما هو فداء في نفس الامر وأنه قال ان هذا لهو البلاء المبين أي الاختبار المبين أي اظاهر يعني لاحتبار في العلم هل يعلم ما يقتضيه موطن الرؤيا من التعبير أم لا لأنه يعلم أن موطن الخيال يطلب التعبير قال فعمل ابراهيم ما وفى الموطن حقه ومعلوم عند كل مسلم أن هذا ليس من أقوال من يؤمن بالرسل ويقدر قدرهم لا سيما ابراهيم الخليل خير البرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت بذلك في الحديث الصحيح أنه خير البرية ورواه مسلم في صحيحه وهو لا ريب أن ما رآه في منامه هو الذي جعله الله للناس إماما وجعله حنيفا وتسمى المسلمين من سلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا

واتخذ الله ابراهيم خليلا) بل من رؤيا المؤمنين مايكون مطابقا للظاهر لايحتاج الى تأويل فاذا كان فى رؤيا المؤمنين والانبياء مالا يحتاج الى تعبير بل يكون المرئي فى المنام هو الموجود فى اليقظة فكيف يكون القرآن كلام الله الذى أنزله بلسان عربي مبين وجعل هدى وبيانا مشتملا على ماهو من جنس أحاديث الرؤيا المفتقرة الى التعبير ثم كيف يكون ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة والتابعون لم يتأولوا القرآن ولم يعبروه بمخالف مقتضاه ودلالته كما كانوا كثيرا مايعبرون الرؤيا بما يخالف الظاهر المعروف منها والحقائق المعبر بها الظاهرة المعروفة فى القرآن من أمر اليوم الآخر ونعوت الربوبية وان كانت ليست مماثله في الحقيقة الحقائق الموجودة فى الدنيا كما قال ابن عباس ليس فى الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء ورويناه من حديث وكيع عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس فذلك لايقضى أن يكون الكلام دل عليها بطريق الحقيقة بل لايمنع أن تكون هى الاسماء المذكورة فى القرآن أحق من مسميات الدنيا حتي يقال ان دلالتها على مدلولها لاحقيقة له الا مايدل عليه بطريق التعبير كالرؤيا اذ من المعلوم أن مارآه يوسف من سجود القمرين والكواكب ورؤيا الملك من البقر والسبل لم يكن موجودا فى الخارج وانما هو فى نفسه ومدلوله فى الخارج سجود أبويه وإخوته وسمين الخصب والجدب فهل يقول من يؤمن بالله ورسله ان ما أخبر به الرسول من صفات ربه وصفات الملائكة واليوم الآخر وغير ذلك انما هي أمور ذهنية لا وجود لها فى الخارج بل لها تعبير كالرؤيا وهل هذا إلا نسبة الرسل الى الكذب الصريح فان الخبر الذى يقوله الرائي لو أطلقه ولم يقل فى المنام وأراد به تأويل الرؤيا لكان كاذبا باتفاق العقلاء ولو قال مرارا سجدني الشمس والقمر والكواكب ولم يقل فى المنام أو قال رأيت بمراسانا يأكلون سمع محالف ولم يقل فى المنام لكان كاذبا وكذبه جميع الناس اذ اللفظ لايدل على ذلك لاحقيقة ولامجازا ولو كان مجازا لم يجز ذكره الا بقرينة تبين المراد واذا قال رايت هذا فى المنام كان مصدقا في انه رأى فى المنام كذلك وان لم يكن تأويله فى اليقظة كذلك فلم الناس أن مارئى فى المنام لابد أن يكون هو التأويل في اليقظة بل يكون مشابها له من بعض الوجوه وقد يقل أحد من العقلاء [illegible] في المنام وبين تأويل الرؤيا [illegible] مثل هذا لم يفهم أحد ماأراده بعبارته [illegible]

وتأويلها فياب لا ينضبط له حد وقد يكون تأويلها لا يشبهها الا بوجه بعيد لا يهتدي له الا حذاق المبرين ولا ريب أن هذا الذي ذكره هو من أصول الفلاسفة القرامطة الباطنية في ردهم ما أخبر به الرسول من المعاد وغيره الى أمثال مضروبة لكن أهل الملل يعلمون بالاضطرار أن هذا باطل وأن هذا نسبة للانبياء الى الكذب الصريح ويعلمون بالاضطرار أن الرسل لم تقصد مجرد ما يذكرونه ثم من المعلوم أن الرؤيا ان لم يعلم تعبيرها لم يكن فيها فائدة قد يحمل الرائي اذا حملها على ظاهرها فاذا كان القرآن ونحوه كذلك لابد له من مثل هذا التعبير وهو التاويل عند هؤلاء القرامطة فأحق الناس بمعرفة ذلك الصحابة ولا بد أن ينبه الرسول ولو لخواصهم بل يجب أن يبين أيضا لعوامهم والا كان ذلك اضلالا لهم ودعاء لهم الى العقائد الفاسدة ومن المعلوم بالتواتر عنا ضروريا لمن له خبرة متوسطة بأحوال الصحابة أنهم كانوا أعظم الخلق مباعدة لمثل هذه التحريفات التي يسمونها التعبير والتأويل خاصتهم وعامتهم وأن جميع ما ينقل عنهم مما يخالف الظاهر المعروف فهو كذب مفتري مثل ما يزعم أهل الباطنة والجفر ونحو ذلك مما يدعونه من العلوم الباطنة المنقولة عن علي كرم الله وجهه وأهل البيت رضي الله عنهم وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة الثابتة عن علي رضي الله عنه المتلقاة بالقبول ما يكذب ذلك كقوله لما قيل له هل عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لم يعهده الى الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفة فكان فيها العقل يعني عقل الدية وهو أسنان الديات وفيها فكاك الاسير وفيها لا يقتل مسلم بكافر وكذلك في الصحيح عنه أنه قال من شدنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا نقرؤه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة وفيها المدينة حرام ما بين عير الى ثور من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ونحو ما تقدم ومثل هذا عن علي رضي الله عنه وكذلك ما يذكره بعض الناس عن عمر أنه قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر تحدثان وكنت كالرحى بينهما) فان هذا كذب تعلم أهل المعرفة لم يروه أحد منهم لا باسناد صحيح ولا ضعيف ولا يذكره الا من هو أجهل خلق الله بأحوال الصحابة رضي الله عنهم وان كان في من يذكره من ينتسب الى التحقيق والتصوف وأما حديث أبي هريرة المتفق على صحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [illegible] وأما الآخر فلو مشى لقطعتم هذا الملوم فهذا صحيح

لكن الذي كان في الجراب الآخر انما هو الاخبار عن الفتن التي تكون في الامة كما قال ابن عمر لو حدثكم أبو هريرة أنكم تقاتلون خليفتكم وتخربون بيت ربكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة ولم يكن في الجراب باتفاق العلماء مايدعيه هؤلاء ولا كان أبو هريرة عندهم من الخواص الذي يعرف بعلم أسرارهم وحقائقهم وانما الذي يذكر عنه أنه صاحب السر الذي لايعلمه غيره هو وحذيفة وكان ذلك السر معرفته بأعيان المنافقين وكان أحفظهم لاحاديث الفتن لالأنه خص بعلمها بل لانه اعتنى بها كما ثبت ذلك عنه ثم كيف يصح أن يكون القرآن بمنزلة أحاديث الرؤيا هذا . والقرآن موصوف بانه هدى وبيان للناس وأن على الرسول البلاغ المبين وأي بيان أو بلاغ مبين فيما هو من جنس الرؤيا التي لها تعبير ولم يخبر بتعبيره ومن المعلوم أن هذه الاحاديث النبوية المتواترة وآثار الصحابة والتابعين كلها توافق مايفهم من القرآن ونحن نعلم أن يكون المراد مايراد بالرؤيا من التعبير ثم هل يقول مؤمن عاقل ان الشمس والقمر والنجوم في قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره تأويلها من جنس تأويل قول يوسف رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وان السنبل في قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل من جنس السنبلة في قول الملك سبع سنبلات خضر وان البقر في قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وفي قوله ومن البقر اثنين قل آلذكرين كالبقر في قول الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وان المراد بالخمر في قوله انما الخمر والميسر كالمراد بالخمر في قول أحد صاحبي السجن اني أرانى أعصر خمرا وأمثال ذلك ولكن من زعم أن مارآه الخليل من الكواكب والقمر والشمس هي اشارات الى أمور من هذا الجنس كالنفس والعقل لم يمكنه أن يقول مايشابه هذا ومن طرد هذا القياس حمل المراد بالصلاة معرفة أسرارهم والمراد بالصوم كتمان أسرارهم والمراد بالحج قصد شيوخهم المقدسين ويدأبي لهب أبو بكر وعمر بالمؤلفة والمراد الخمس والحسين بالخامسة نفس ماقدمت وأخرت علم حمرائين بتقدم محمد وأخير علي وبالثمة الكبرى طلحة والزبير ولئن أشركت ليحبطن عملك لئن أشركت بي أبي بكر وعلي في ولايته ونحو ذلك من التأويلات المتعلقة بهم أئمة هذا التأويل الذين كانوا [illegible] ماقفين وانما التدليس به على [illegible]

الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وذكر مثل هذا طويل ليس هذا موضع استقصائه الاصل الثاني من الاصلين الفاسدين كون روح المد تطالع اللوح المحفوظ فان هذا هو قول هؤلاء المتفلسفة القرامطة إن اللوح المحفوظ هو العقل الفعال أو النفس الكلية وذلك ملك من الملائكة وان حوادث الوجود منتقشة فيه فان اتصلت به النفس الناطقة فاضت عليها وكل من علم ما جاءت به الرسل يعلم بالاضطرار أن مراده باللوح المحفوظ ليس هو هذا ولا اللوح المحفوظ ملك من الملائكة باتفاق المسلمين بل قد أخبر الله أنه قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) كما قال في الآية الاخرى (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) وقال (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) وقال (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) وقال (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) على أصح القولين وقال (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) ولم يقل أحد من علماء المسلمين ان أرواح كل من رأى ما ما تطلع على اللوح المحفوظ بل قد صح في الحديث أنه لم يظفر فيه غير الله عز وجل وفي حديث أبي الدرداء ثم اللوح المحفوظ فوق السموات والعرش والعقل الذي يذكرونه متصلتان بهلال القمر دون ما فوقهما من العقول والنفوس* قوله ان كنت لا أرى على احتمال ما يقرع سمعك من هذا النمط ما لم تسند الامر للصحابة فان التعليق عائد عليك يقال له انما لم أحتمل هذا النمط لاني أعلم بالاضطرار أنه باطل وان الله لم يرده ردي للقرمطة في التسميات كردي للسفسطة في المتليات ودلالة كردي لكل قول أعلم بالاضطرار انه كذب وباطل ولو نقل مثل هذا النمط عن أحد من الصحابة والتابعين علمت انه كذب عليهم ولهذا تجد القرامطة يقولون هذا عن علي عليه السلام ويدعون ان ذلك علم باطن لخواص لا يعلم من ظاهره وأجود عنه ثم لم يستجيدوا هذا النقل عن علي ونحن نعلم قطعا كذبهم في الاسناد والمتن كذبا ظاهرا فان المسلمين يعلمون بالاضطرار ان

عليا لا يقول مثل هذا واهل العلم منهم قد علموا بالنقول الصحيحة الثابتة عن علي ما يبين كذب هذا ويبين ان هذا من ادعى على علي انه كان عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم علم خصه به فقد كذب كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وقد دخل كثير من هذه القرمطة في كلام كثير من المتصوفة كما دخل في كلام المتكلمة وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب حقائق التفسير قطعة من هذا الجنس عن جعفر الصادق رضي الله عنه. واهل العلم بجعفر وأحواله يعلمون قطعا ان ذلك مكذوب على جعفر كما كذب عليه الناقلون عنه الحلول في الهلال وكتاب الحفر والطاقة والهفت واختلاج الاعضاء والرعود والبروق ونحو ذلك مما هو من كلام أهل النجوم والفلسفة ينقلونه عن جعفر وأهل العلم بحاله يعلمون ان هذا كله كذب عليه بل أعجب من ذلك طي طوائف ان كتاب رسائل اخوان الصفا هو عن جعفر الصادق وهذا الكتاب هو أصل مذهب القرامطة الفلاسفة وينسبون ذلك اليه ليحعلوا ذلك ميراثا عن أهل البيت وهذا من أقبح الكذب وأوضحه فانه لا نزاع بين العقلاء ان رسائل اخوان الصفا انما صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه قريبا من بناء القاهرة وقد ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب المتاع والمؤانسة من كلام أبي الفرج بن طرار مع بعض واصفيها ومناظرته لهم ومن كلام أبي سليمان المنطقي منهم وغير ذلك ما يتبين به بعض الحال وفيها مسطورا بيانا انها صنفت بعد ان استولى النصارى على سواحل الشام ومن المعلوم بالتواتر ان استيلاءهم على سواحل الشام كان بعد المائة الثالثة وجعفر رضي الله عنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة بل وضع هذه الرسائل نحو مائتي سنة فهذا وأمثاله يعلم ان نقل مثل هذه التحريفات التي قد سماها تأويلا وتفسيرا عن الصحابة وأهل البيت المشايخ لا يريدها عند أهل العلم والايمان الا علما بكذب من تعلقها وعلما بجهلهم وضلالهم فلا يظن ان مجرد النقل والرواية يفرق الباطل عند أهل العلم والايمان كما قد يتفق عليه وعلى أمثاله من النقول الباطلة ما لا يعلمه الا الله لقلة علمهم بالحديث والآثار وأحوال السلف وعلومهم كما يتفق عليهم من المنقولات الفلسفية ما لا يعلمه الا الله تعالى فان أهل العلم والايمان مؤيدون بصحيح المعقول وصريح المنقول وأما تفسير الثعلبي من الصحاح والبغوي مملوء احاديث وضعها الكذابون على الصحاح وعلى غيرها صلى الله عليه وسلم بعض القرآن وعليه جميعا كما ثبت ذلك عنهم مع ان هذا مما يعلم بالضرورة من علوم أهل الحديث

لو صنف كتاب علم في طب أو حساب أو غير ذلك وحفظه تلامذته لكان يعلم بالاضطرار
ان همهم تشوف الى فهم كلامه ومعرفة مراده وان بمجرد حفظ الحروف لا تكتفي به القلوب
فكيف بكتاب الله الذي أمر ببيانه لهم وهو عصمتهم وهداهم وبه فرق الله بين الحق والباطل
والهدى والضلال والرشاد والغي وقد أمرهم بالايمان بما أخبر به فيه والعمل بما فيه وهم يتلقونه شيئا
بعد شيء كما قال تعالى (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه
ترتيلا) الآية وقال تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) وهل يتوهم
عاقل انهم كانوا انما يأخذون منه مجرد حروفه وهم لا يفهمون ما يتلوه عليهم ولا ما يقرؤنه
ولا تشتاق نفوسهم الى فهم هذا القول ولا يسألونه عن ذلك ولا يبتدئ هو ببيانه لهم هذا
مما يعلم بطلانه أعظم مما يعلم بطلان كتمانهم ما توفر الهمم والدواعي على نقله ومن زعم انه لم يبين
لهم معاني القرآن أو انه بينها وكتموها عن التابعين فهو جاهل من زعم انه بين لهم النص
على علي وشيأ آخر من الشرائع وانواع الآيات وانهم كتموا ذلك أو انه لم يبين لهم معنى الصلاة
والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك مما يزعم المرجئة ان له باطنا يخالف الظاهر كما يقولون ان
الصلاة معرفة أمرهم والصيام كتمان اسرارهم والحج زيارة شيوخهم وهو نظير قولهم ان
أبا بكر وعمر كانا منافقين وسبه العلائك الرسول وان الخمر عبارة عن بعض الصحابة وان الميسر
وهو القمار الذي زعموا انه أبو بكر وعمر (وقولهم ان الاشراك الذي قال الله
(لئن أشركت ليحبطن عملك) هو ان أبا بكر عليا في ولايته وان الله أمره باخلاص
الولاية لعلي دون أبي بكر وقولهم ان الشرك بعبادة الصنم عمل صالح وهو الذي يسمونه التمر الطيبة
وقولنا معشر الصحابة القراء الذين [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالم يصل الينا
الا طريقهم وهم [illegible] عن الرسول يستبعد أن يكون بحضرة
علماء من القرآن [illegible] ولم يعلموا ما دلت عليه ويجوز أن يكون بحضرة مصيبين في فهم القرآن
وتحقيق ومعانيه [illegible]

الوجه الثاني [illegible] (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) مع
[illegible] الكلام
[illegible] بحرم كثيرة في

To: www.al-mostafa.com

التهافت وغيره ورد أيضا التأويلات التي ذكرها في مشكاة الانوار وغيره فقال (فصل) من الناس من يبادر الى التأويل لعلمات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي أن يبادر الى تكفيره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وبذلك نقول بعض الصوفيه ان المراد برؤية الخليل الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هي جواهر روحانية ملكيه ونورانيتها عقلية لا حسية ، لها درجات متقاربه في الكمال نسبة ما بينها من التفاوت نسبة ما بين الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه بأن الخليل أجل من أن يعتقد في حسم انه الاله حتى يحتاج الى أن يشاهد أفوله أفة على انه لو لم يأفل أكان يتخذه إلها ولم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا واستدل بانه كيف يمكن أن يكون أول ما رأى الكوكب والشمس هي الاطهر وهي أول ما تبزغ واستدل بأن الله قال أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكى هذا القول فكيف يمكن أن يفهم ذلك بعد كشف الملكوت بهذه دلالات طبية وليست براهين قاطعة أما ولا هو أحق من ذلك فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له ذلك ولا بد أن يحضر لمن سيكون نبيا من مثل هذه الخواطر ثم تجاوزه على قرب ولا بعد أن تكون دلالة الأفول على الحدوث أظهر من دلالته التقدير والجسمية وأما رؤيته الكوكب [illegible] خرج بالليل وأما قوله أولا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات [illegible] ذكر حال نهايته ثم رجع الى حال [illegible] البرهان وشرطه فهذا حسن [illegible] ذلك) وقوله تعالى (وألقى ما في يمينك [illegible] تجري مجرى البرهان و [illegible] يؤدي الى الشريعة [illegible] قول بعض الباطنية [illegible] من الدهر لا يكون [illegible]

في الآخرة نظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا إذ لا برهان
على استحاله ردّ الارواح الى الاجساد وردّ ذلك عظيم الضرر في الدين ويجب تكفير من
قال منهم ان الله عزّ وجل لا يعلم الا نفسه أو لا يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية المتعلقة
بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم وليس من قبيل الدرجات
التي ذكرناها في التأويل إذ أدلة القرآن لا تحمل على نفيهم حشر الاجساد ونفيهم علم الله تعالى
بكل ما يجري على لسان محمورة جدًا لا يقبل التأويل وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل
ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق في أن يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد
المعقول وكان صلاحهم في أن يعتقدوا أن الله عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رهبة
ورغبة في قلوبهم جاز أن الرسول صلى الله عليه وسلم أن نبههم ذلك قالوا وليس تكاذب من أصلح
غيره فإن هذا وإن لم يكن كما قاله * وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب ثم
طلب عذرا وأن لم يكن كذلك ويجب ابطال مذهب الباطنية عن هذه الرذيلة في الصدق
واصلاح خلق به مذمومة عن الكذب ورذيلة الكذب ورذيلة الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال
وبين الزندقة الخالصة فإن المعتزلة تخرب مذاهبهم بين مذاهب الملاحدة الا في هذا الامر
الواحد وهو اعتقادهم الامور التي كذب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لم
تؤول الظاهر فيها صريحة بل هي مخالفة لما يعلم من الدين ضرورة والظاهر على
ما يقتضيه الدين ضرورة أو اعتقاد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكذب أصل المعاد عقلا وحسبا
وذكرنا أن أصلا ورسما أثبت الشرع المعاد وقوعا عقليا في الآلام واللذات الحسية
وأثبت على [illegible] وقوع اعتقاد تصديق الانبياء
[illegible] وقد قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي
[illegible] وهي عبارة عن هذا المذهب في بعض الروايات
[illegible] من لم يعرف حقوقه
[illegible] معترفين بأنه قد يرخص
[illegible] غير صانع لا يؤذن
[illegible] لا يعتد

لزندقة هذه الامة الا ما ذكرناه (قلت) اما الحديث فلا أصل له بل موضوع كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمسانيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار وروي عنه أنه قال هي الجماعة وفي حديث آخر هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي وأيضا فلفظ الزنديق لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام وعرب وقد تكلم به السلف والائمة في توبة الزنديق ونحو ذلك. فاما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر وان كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه ودينا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا وسواء كان معطلا للصانع والنبوة أو يسوي بينه وبين غيره فقط أو لم يقل شيئا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق بما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا باجماع المسلمين ولهذا كان هؤلاء مع تظاهرهم بالاسلام قد يكونون أسوأ حالا من الكافر الظاهر كما ورد في اليهود والنصارى مثلا كما قال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) ومثل هؤلاء [illegible] الكفار في الدرك الاسفل من النار وان كانوا معذورين لاشتباه الامر عليهم [illegible] فان ذلك لا يمنع في الآخرة أن يكونوا [illegible] وهذا يصور صعب [illegible] أنه لا يمكن زندقة هذه الامة [illegible] العلماء المشهورين [illegible] الفقهاء كلامهم في باب توبة الزنديق [illegible] والسنة لمعاني [illegible] يسمون [illegible]

نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) وقال تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وفي الحديث من ذكر المنافقين في عامة السور المدنية كالبقرة والنساء والتوبة وغيرها بالانكار عليهم وهنا لم جميع من لم يستجب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن مؤمن الا وهو منافق هو كافر في الباطن مبطن للظاهر وقد أنزل الله وصف المنافقين في أول سورة البقرة فانزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في الكافرين ونصف عشر آيات في صفة المنافقين لكثرة من النفاق من قول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون) وبالجملة فقد ذكر في هذه السورة المقرة وفي النساء والتوبة والاحزاب والحديد والحشر والمنافقون في أهل البدع فان الذي ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا يريد هدم الاسلام كما كانت رؤس الزنادقة والجهمية وأما تكفير المسلمين في كثير من البدع فهذا القول الذي ذكرناه لم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها وانما قاله بعض المتأخرين لما ظنوا أن كل من قام به بدعة مكفرة فهو كافر وهذا خطأ فان الشخص الواحد قد تكون فيه شعب من الايمان التي بها صار مؤمنا وقد تكون فيه شعب من الكفر التي بها صار كافرا وقد تكون فيه شعب من النفاق التي بها صار منافقا

الحجة دون من لم تقم كالذى قال اذا مت فاسحقوني ثم اذروني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا ماعذبه أحدا من العالمين فان الايمان بقدرة الله على كل شيء ومعاد الابدان من أصول الايمان ومع هذا فهذا لما كان مؤمنا بالله وأمره ونهيه وكان ايمانه بالقدرة والمعاد مجملا فظن ان تحريقه يمنع ذلك فعل ذلك ومعلوم انه لو كان قد بلغه من العلم ان الله يعيده وان حرق كما بلغه انه يعيد الابدان لم يفعل ذلك وقد بسطنا الكلام فى مقالات الناس في التكفير وبيان الصواب في غير هذا الموضع والمقصود ان أنا حامد ذكرها ان هذه التأويلات التى أشار اليها فى مشكاة الانوار لم يقم دليل قاطع بقتضيها وتكلم فى تبديع أهلها بما تقدم وذكر ان مايتعلق باصول العقائد فيجب تكفير من يغير الظاهر فيه بغير برهان قاطع وقطع بتكفير الفلاسفة كما تقدم كما قطع بتكفيرهم فى تهافت الفلاسفة وقال بعد ذلك فى قانون التكفير هو أن تعلم ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول العقائد وقسم يتعلق بالفروع واصول الايمان ثلاثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع قال واعلم أنه لاتكفير في الفروع أصلا لكن فى بعضها تخطئة كما في المقدرات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة الى أن قال ومهما وجد التكذيب وجد التكفير ولو كان فى الفروع فلو قال قائل مثلا البيت الذي بمكة ليس هى الكعبة التى أمر الله بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه ولو أنكر شهادة الرسول لدلالة البيت بانه الكعبة لم يبعد انكاره بل يعلم قطعا انه معاند فى انكاره الا أن يكون قريب عهد من الاسلام ولم يتواتر عنده ذلك وكذلك من نسب عائشة رضي الله عنها وعن أبيها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر لان هذا وأمثاله لايمكن انكاره الا تكذيب أو انكار التواتر والمتواتر يكره الانسان بلسانه ولا يمكنه أن يجعل بقلبه نعم لو أنكر ماثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه الكفر ولو أنكر ماثبت بالاجماع وهذا عندى فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع وأما الأصول الثلاثة فكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه وتواتر نقله ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فجاحده تكذيب بحض ومثاله ماذكرناه في حشر الاجساد وغيره فان التأويل الا ورد وما يطرق اليه احتمال تأويل ولو بالمجاز البعيد يسقط عنه اسم الكفر اذ قد قلنا ان سبب القول بتكفير من تكفر ان تكذيبه فى إظهاره مع العلم بصدقه يدل على خبث باطنه وفساد عقيدته وقد يكون الرجل قطعا بالله

يفيد ظنا غالبا وكان مع ذلك لا يعم ضرره في الدين كنفي المنزلة الرؤية عن الباري تعالى فهذه بدعة وليست بكفر واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل أن يكفر وان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي التصوف انه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى اسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان فهذا ممن لا أشك في وجوب قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر اد ضرره في الدين أعظم ويفتح به باب من الاباحة لا يسد فضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمتنع من الاصغاء اليه لظهور كفره وأما هذا فيهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم الكتاب اذ خصوص عموم آيات التكليفات لمن ليس له مثل درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس الدنيا ويفارق المعاصي بظاهره وهو بباطنه بريء عنها ويتداعى هذا الى أن يدعي كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الشرع ولا ينبغي أن يظن ان التكفير نفسه ينبغي أن يدرك قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار فأحده كما أخذ سائر الاحكام الشرعية وتارة يدرك بيقين وتارة يدرك بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل * ولا بد من التنبيه لقاعدة أخرى وهو ان المخالف نصا متواترا ويزعم انه مؤول ولكن لا انقداح له أصلا عن اللسان لا على قرب ولا على بعد فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول مثاله ما رأيته في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى انه يعطي العلم ويخلقه لغيره وموجود بمعنى أنه يوجد غيره فأما أن يكون في نفسه واحدا وموجودا وعالما بمعنى اتصافه بها فلا وهذا كفر صراح لأن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء ولا تحتمله لغة العرب ولو كان خالق الوحدة واحدا لخلقه الوحدة لسمي ثلاثا وأربعا لانه خالق الأعداد أيضا فأمثلة هذه المقالات تكذيبات ان عبر عنها بالتأويلات * ثم قال (فصل) قد تكلمت في هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق أمور أحدها ان النص الشرعي اذا عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل أم لا واذا احتمل التأويل فهو قريب أو بعيد * الثاني في النص المتروك أنه ثبت تواترا أو آحادا أو ثبت بالاجماع المجرد * الثالث في ان صاحب المقالة هل تواتر عنده الخبر أو ظنه الاجماع اذ كل من يولد

لاتكون الأمور عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف * الرابع النظر في دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط البرهان أم لا * الخامس ان يذكره تلك المقالة هل يعظم ضرره في الدين أم لا ﴿ قلت ﴾ ليس المقصود هنا تعقب كلامه في التكفير فان هذه مسألة كبيرة وفيها اضطراب عظيم لايحتمله هذا الموضع وانما المقصود الكلام على تصويب التأويل وتخطئته والقطع بذلك فانه قد ذكر ان من النصوص مالايحتمل التأويل وجعل أمثال ذلك التأويلات تكذيبات ومن تدبر هذا وجد جمهور ماتذكره الفلاسفة بل والمعتزلة في التأويل هو من هذا الباب ولا ريب ان المعتزله أقرب الى الاسلام من الفلاسفة * ومن أشهر مسائلهم التي استحثوا الناس عليها قولهم ان القرآن مخلوق وقالوا معنى ان الله متكلم وأنه تكلم أنه خلق في غيره كلاما وقد قال هما لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من التاويل في شيء ولا تحتمله لغة العرب أصلا ولو كان خالق الوحدة واحداً لخلقه الوحدة لسمى ثلاثا وأربعا لانه خالق الاعداد أيضا ومثل هذا يقال في الكلام والارادة والرضى والغضب واشباه ذلك مما تقول الجهمية من المعتزله وغيرهم أنه خلقه في غيره فسمى واتصف به فان حمل المتكلم على الذي أوجد الكلام في غيره كحمل العالم والقادر والسميع والبصير على الذي أوجد العلم والقدرة والسمع والبصر في غيره ولو كان متكلما بما يخلقه في غيره لكان ماتنطق به الايدي والجلود التي قالت أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء متكلما به وكان ذلك كلام الله ولم يكن فرق بين ان يقول هو وبين ان ينطق غيره ثم إنه اذا قام الدليل على انه خالق أفعال العباد لزم ان يكون هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام كما قال بعض الاتحادية

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

وحينئذ لافرق بين قول فرعون أنا ربكم الاعلى وما علمت لكم من إله غيري وبين القول الذي سمعه موسى انى انا الله لااله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري وهكذا يصرح به هؤلاء الجهمية الاتحادية كما وجدته في كتبهم وكما شافهني بذلك حذاقهم ومحققوهم وشيوخهم ويقولون إنه هو المتكلم على لسان كل قائل لايكتمون بان يكون هو الذي أنطق كل شيء كما يقول المسلمون بل يقولون انه الباطن في كل شيء فلا يتكلم الا هو ولايسمع الا هو حتى قول مسيلمة الكذاب والدجال وفرعون يصرحون بان أقوالهم هي قوله وخاطبت في ذلك بعضهم وذكرت له الدجال

فقال يكون الدجال مستثنى من ذلك بالشرع فقلت له هذا لا يمكن على أصلكم في الوحدة فتحير وبقي في حيرة * ومن أصولهم الجمع بين النقيضين والضدين وقول هؤلاء هو في الحقيقة قول الجهمية الذين كفرهم السلف والأئمة لكن أولئك طهر عنهم انهم قالوا ان الله بذاته في كل مكان وكل من القائلين للقولين قد يقول مقالة الآخر كما بينته في غير هذا الموضع فان هؤلاء يقولون بالمظاهر وانه ظهر في الاشياء فقلت لبعضهم فالمظاهر وجود أو عدم قال وجود قلت فهي غيره أم لا فان قلتم غيره فقد قلتم بموجودين وان قلتم لا تبطل ما قررتموه ولهذا لما فهم السلف حقيقة قول هؤلاء كفروهم كما قال عبد الله بن المبارك فيما ذكره البخاري في كتاب خلق الافعال قال وقال ابن مقاتل سمعت ابن المبارك يقول من قال اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني مخلوق فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك قال وقال ابن المبارك لا نقول كما قالت الجهمية انه في الارض ههنا بل على العرش استوى وقيل له كيف نعرف ربنا فقال فوق سمواته على عرشه وقال لرجل منهم أنطلق حالا منه فمت الآن وقال من قال لا اله الا هو مخلوق فهو كافر وإنما نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية قال البخاري وقال علي بن عاصم ما الدين قالوا ان الله ولدا أكفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم قال البخاري وقال أبو الوليد سمعت يحيى بن سعيد وذكر له ان قوما يقولون القرآن مخلوق فما فقال كيف يصنعون (يقل هو الله أحد) كيف يصنعون بقوله (إنني أنا الله لا اله الا أنا) قال وقال سليمان بن داود الهاشمي من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال القرآن مخلوقا كما زعموا فهم صار فرعون أولى بان يجاد في الدار قال أنا ربكم لا على حيث زعموا ان هذا مخلوق ومن قال اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني هذا أيضا قد ادعى ما ادعى فرعون فهم صار فرعون أولى بان يخلد في النار من هذا وكلاهما عنده مخلوق فاخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه (قلت) المقصود التنبيه على ان السلف فهموا حقيقة قول هؤلاء الجهمية الذي هو حقيقة قول القرامطة ومن وافقهم من الفلاسفة فانهم ينفون الصفات وهم في الحقيقة ينفون الاسماء أيضا لكن يحتاجون الى اطلاقها في الظاهر لاجل تظاهرهم بالاسلام ويتأولونها على انها خلق معانيها في غيره وهذه هي القاعدة المعروفة وهو ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره ووجب ان يشتق لذلك المحل من لفظها اسم ولا يشتق لغيره الاسم والمعتزلة تنازع أهل الاثبات في بعضها كما تنازعهم القرامطة في جميعها وطرد ذلك في أسماء الافعال كالعادل ونحوه فان

المفهوم من مذهب الفقهاء أصحاب الائمة الاربعة وأهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام طرد ذلك ومن لم يطرده انتقضت حجته ولا فرق فى ذلك بين نوع ونوع في الحقيقة ولكن من المذاهب ماقل قائله وخفي وظهرت مخالفته لما استقر في قلوب المسلمين ومنها ما كثر قائله وتقى نفور القلب عن ذلك القول ومفتتحه أعظم ولو فرض ان شخصا مؤمنا باطنا وظاهرا لكن جهل وصف في صفة القدرة أو العلم حتى ظن ان القدرة تتوم بغيره والعلم بغيره كما هو قول الباطنية لكان حاله كحال من هو مؤمن باطنا وظاهرا وقد جهل وضل حتى اعتقد ان الكلام لايقوم به بل بغيره وكثير من أهل المقالات قد أخرج بعض الموجودات عن قدرته ومنع قدرته على أشياء كحال الذى قال لولده ما قال فهذه المقالات هى كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التى يكفر تاركها وان اطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل اطلاق القول بنصوص الوعيد مع ان ثبوت حكم الوعيد فى حق الشخص المعين موقوف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه ولهذا اطلق الأئمة القول بالتكفير مع أنهم لم يحكموا فى عين كل قائل بذلك إما بالحبس والضرب والاهانة وقطع الرزق بل بالتكفير أيضا لم يكفروا كل واحد منهم* وأشهر الائمة بذلك الامام أحمد وكلامه في تكفير الجهمية مع معاملته مع الذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف وانما القصد هنا التنبيه على عامة هذه التأويلات فقد يقع في الخطأ تطبيقا وفيه بل تكفيرا من تأول ونحن قد بسطنا الكلام في هذه الابواب في غير هذا الموضع وانما الغرض من هذا الجواب التنبيه على جملة أقوال هؤلاء المتفلسفة لدين الاسلام وان أقوالهم هذه التى أدخلها من أدخلها من المتكلمة والمتصوفة فى دين الاسلام ليست موافقة لاقوال الرسل بل قطع جماهيرها وأئمتها بل سلف الامة بخلاف ماذكره

* الوجه الثالث عشر * ان ما ذكره في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام من أنه أراد بالكوكب والقمر والشمس ما ذكره المتفلسفة من العقول العشرة كما ان الكوكب هو الشمس هى العقل الكوني المدبر الفاعل على العين كالشمس مع القمر وهذا تأويل هذا التأويل فان العقول عندهم عشرة والكواكب السبعة والعين التى هى الارض كثيرة فلا يتطابق هذا على هذا وهذا كلامهم في الطبيعة

جعل الكواكب هي النفوس المتعددة وجعل القمر كنفس الفلك التاسع وجعل الشمس هي العقل لكن المقصود ان هذا مما يعلم بالاضطرار انه ليس هو المراد بالآية ولم يقله أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد اتفق كل من تكلم في تفسير القرآن من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين على ان المراد بالكوكب والقمر والشمس ماهو معروف من مسميات هذه الاسماء وهذه الاعيان المشهودة المستكثره ولا كان أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين يثبت العقول والنفوس كما يثبتها هؤلاء المتفلسفة ولا الملائكة المذكورون في الكتاب والسنة على الصفة التي يصف هؤلاء عليها وما يذكرونه من العقول والنفوس فضلا عن ان تسميها عقولا ونفوسا بل يفهم من الفروق والمخالفات مالا يكاد يحصيه الا الله ولفظ الكوكب والشمس والقمر معرف بلام التعريف والمرجوع والاصول لا يحتمل مايذكرونه من العقول والنفوس في لغة العرب بوجه من الوجوه والذين نقلوا القرآن لفظه ومعناه عن الرسول قد علم بالتواتر والاضطرار عنهم ان المراد بالشمس والقمر الشمس والقمر كما ان ذلك هو المراد بهذين الاسمين في عامة القرآن كقوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) وقوله (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل الى قوله وكل في فلك يسبحون) وقوله (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وقوله (اذا الشمس كورت) وقوله في وصف القمر (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) الآية ولكن هذا من جنس تأويل القرامطة كالسهروردي المقتول وأمثاله ان المراد بالشمس هنا عقل الانسان والقمر حواسه وبالحيتان أعضاؤه ونحو ذلك مما يؤول فيه نصوص القيامة على موت الانسان وهو كتأويل بعض الملاحدة الذين يفسرون طلوع الشمس من مغربها بطلوع كلامهم وبطلوع الشمس من المشرق ونزول عيسى بن مريم من السماء بنزول روحانيته أو حركتها على هذا الشخص كما ذكر ذلك بعض أئمة هؤلاء الملاحدة ومعلوم أن حمل كلام الله ورسوله على معنى من المعاني لا يجوز من غير أن يعلم أن المتكلم أراد ذلك المعنى كما في دين الاسلام يصح اخبار

الرسول عنه والثاني أن يكون قد دل عليه بالنص لفظ يدل عليه دلالة لفظ على مسماه وكل من المقدمتين هما معلوم انتفاؤه قطعا بالاضطرار فان من فهم مايقوله هؤلاء من العقول والنفوس وإن سموها ملائكة وفهم ماجاءت به الرسل من الاخبار بملائكة الله واعتبر أحد القولين بالآخر علم بالاضطرار أن قول هؤلاء من أعظم الأقوال منافاة لاقوال الرسل وان ذلك من أعظم الكفر في دين الرسل وان حقيقته حقيقة قول من قول ولدا لله وانهم لكاذبون ومن خرق له سنين وسنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وحقيقة قوله الذي أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حيث قال يقول الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما تكذيبه اياي فقوله ان يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وهذا الحديث منطبق على هؤلاء المتفلسفة فان قولهم في المبدأ بالتوليد عنه وفي المعاد بعود النفوس الى عالمها من دون اعادة الخلق يتضمن من شتم الله وتكذيبه ماأخبر به رسوله وهذا باب واسع لكن المقدمة الثانية أعرف وهي كون لفظ الكواكب والقمر والشمس في القرآن أريد بالكواكب النفوس الكلية وبالقمر نفس الكل وبالشمس العقل فان هذا مما يعلم بالاضطرار ان لفظ القرآن لايحتمله لاحقيقة ولا مجازا كما لايحتمل ان يراد بلفظ الشمس والقمر والكواكب آدم وحواء وأولادهما ولام أبوا ابراهيم واخوته كما كان مثل ذلك التأويل في رؤيا يوسف وكما لايحتمل انه أراد بالشمس والقمر والكواكب سلطان وقته ووزيره واعوانه ونحو ذلك مما قد يعبر به العابر في من رأى الشمس والقمر والكواكب ثم الرائي كيوسف الصديق انما مثل له في نومه سجود الشمس والقمر والكواكب لكن لم تكن هي الواحدة في الخارج بل تمثل له ذلك في نفسه وهؤلاء يزعمون ان ابراهيم لم يرد الشمس والقمر والكوكب لا في نفسه ولا في الخارج فكيف اذا حمل على ماهو أبعد وهذا الجواب لايحتمل البسط

(الوجه الثالث) أن يقال قصة ابراهيم التي قص الله تعالى في كتابه من أعظم سبل الاعتبار لمحققي التوحيد [illegible] ان ابراهيم لما قال هذا ربي في الثلاثة صغر وسنها أو صغر أمرها [illegible]

السموات والارض وانه رب العالمين ثم انهم لما ظنوا انه أراد هذا سلك هؤلاء سبيلا وهؤلاء سبيلا ولو تدبروا القصة لعلموا انها تدل على نقيض قولهم فالفريق الاول طوائف من أئمة أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم من غيرهم حتى مثل ابن عقيل وأبي حامد وغيرهم قالوا ان هذا الذي سلكه ابراهيم هو الدليل الذي سلكه هؤلاء في حدوث الاجسام حيث استدلوا على ذلك بما قام بها من الاعراض الحادثة كالحركة وأثبتوا حدوث الاعراض أو بعضها ولزومها للجسم أو بعضها ثم قالوا وبالافتقاء عن الحوادث فهو حادث ثم منهم من أحد ذلك مسلما ومنهم من تفطن للسؤال الوارد هنا وهو الفرق بين بالافتقاء عن عين المحدث أو نوعه فان المحدث المعين اذا قدر أنه لازم لغيره فلا ريب انه حادث هذا معلوم بالضرورة والاتفاق وأما ما يستلزم نوع المحدث فانما يعلم حدوثه اذا قدر امتناع حوادث لا أول لها خاضوا في تقرير هذه المقدمة بما ذكروه والمقصود هنا ان من هؤلاء من جعل هذا هو دليل ابراهيم الخليل على اثبات الصانع وهو انه استدل بالأفول الذي هو الحركة والانتقال على حدوث ما قام به ذلك ولو تدبروا لعلموا ان قصة ابراهيم هي على نقيض ما ظنوهم من الاصول، أما أولا فان ابراهيم انما قال لا أحب الآفلين والافول هو المغيب والاختفاء بالعلم القائم المتواتر الضروري في الحس واللغة ولم يقل أحد ان الافول مجرد الحركة وأما ثانيا فانه قد قال (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون) ومعلوم انه من حين البزوغ ظهرت فيه الحركة فلو كانت هي الدليل على الحدوث لم يستمر على ما كان عليه الى حين الغروب فدل هذا على ان الحركة لم يستدل بها أو لم تكن تدل عنده على [illegible] وأما ثالثا فانه لم يقل لا أحب الآفلين في محبته فقط ولم يتعرض لما ذكروه وأما رابعا فان القوم [illegible] من العقلاء لم يظن ان كوكبا من الكواكب دون غيره من الكواكب [illegible] كل حي من كل رب سوى الله وكل الافلاك والشمس والقمر وقد بسطنا الكلام على هذا [illegible] الموصل الى الطريق الذي سلكه ابراهيم من غير ذلك من متفلسفة الصوفية المتصوفة [illegible] الاصول كما ذكرناه في [illegible] ومعلوم ان هذا أسد من الاول بكثير مع انه في [illegible] أي على طوائف المسلمين الصفاتية المقرين برب [illegible] الحديث المذكور ان لله سبعين حجابا من نور

وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ماأدركه بصره وفي بعضها سبعمائة وفي بعضها سبعمين الف حجاب فقسم الحجب والمحجوبين ثلاثة أقسام الاول المحجوبون بمحض الظلمة وهم المعطلة للصانع الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهي ثلاثة أنواع حسية وخيالية وعقلية فالحسية كطوائف من المشركين والمجوس والخيالية كطوائف من المسلمين من المجسمة والكراميه والعقلية قال هم المحجوبون بالانوار الالهية تعرفون مقامات عقلية فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا مريدا حيا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح أحدهم فقال كلامه صوت ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث أنفسنا ولاصوت ولا حرف ولذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان انكروها باللفظ لم يدركوا أصلا معانى هذه الاطلاقات في حق الله وكذلك قالوا في ارادته انها حادثة مثل ارادتنا وانها طلب وقصد مثل قصدنا وقال وهذه مذاهب مشهورة فلاحاجة الى تفصيلها فهؤلاء محجوبون بحملة الانوار مع طلبة المقامات العقلية فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة القسم الثالث المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف لايمكن احصاؤهم باشتراك ثلاثة أصناف منهم فالاول طائفة عرفوا المعاني والصفات تحقيقا وادركوا اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقها على البشر فتحاشروا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى صلى الله عليه وسلم في جواب قول فرعون ومارب العالمين فقالوا ان الرب المقدس المنزه عن الفهوم الظاهر من معاني هذه الصفات هو محرك السموات وفاطرها . والصنف الثاني توقفوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان السموات كثيرة وان محرك كل سماء خاصة وجوهر آخر يسمى فلكا فيهم كثيره . وأما نسبتهم الى الأنوار الالهية فنسبة الكواكب الى الأنوار المحسوسة ثم لاح لهم أن هذه السموات في صميم ذلك آخر تتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة . فقالوا الرب هو محرك الفلك الأقصى المطوق على الأفلاك كلها إلى الكرسي متعلقة به [illegible] وتوقفوا عن [illegible] بطريق المباشرة بعيد أن يكون [illegible] فمنهم من [illegible]

المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل بطريق الأمر لا بطريق المباشرة ثم في فهم ذلك الأمر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الأفهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء كلهم أصناف محجوبون بالانوار المحسة وإنما الموحدون الواصلون الى حضرة الحق صنف رابع تجلى لهم أيضا أن هذا المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال الكثير لا يحتمل هذا الكتاب كشفه وأن نسبة هذا المطاع نسبة الشمس الى الانوار المحسوسة فوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي أمر بتحريكها الى الذي فطر السموات والارض وفطر الأمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر من قبلهم فأحرقت سبحات وجهه الاولى الأعلى جميع ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم إذ وحدوه مقدساً منزها عن جميع ما وصفوه من قبل . ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من احترق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي نور ملاحظا للجلال المقدس وملاحظا ذاته من حيث الذي بالوصول الى الحضرة الالهية فاحتجبت عنه المبصرات دون البصر . وجاور هؤلاء طائفة هم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه من أنفسهم وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في دواتهم ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم بل غابوا عن أنفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله (كل شيء هالك الا وجهه) لهم ذوقا وحالا ومعنى أشرنا الى ذلك في القسم الاول وذكرنا أنه كيف أطلقوا الاتحاد وكيف حاوه فهذه نهاية الواصلين . ومنهم من لم يتدرج في الترقي على التفصيل الذي ذكرناه ولم ينل علمهم الطريق فاستمر من أول سيره الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه فما نال عليهم أولا ما نال على آخر الآخرين اذ هجم عليهم التجلي دفعة فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه البصر حسي وانصرفوا حيارى ومن غير تدريج . ويشبه أن يكون الأمر على طريق الخليل والذي طرق لحياب سماوات الله عليهما والله أعلم بأسرارهما وأنوار عليهما وإشارة الى أصناف المحجوبين بالنور والظلمة ولا بد أن نطلع اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين بعين أنما ولكن اذ فتشت لا تجد واحداً منهم حارحا عن الانتظام التي حصرناها فانه ما حصروه بسلاسلهم الفكرية أو بالحس أو بالخيال أو بسياسة العمل أو بالنور الخاص بالمحاسن وهذا آخر الكتاب وبقي الكلام مع من وقف من تصوير هذه الصفات من المعتزلة والمشبهة وبحر وتحفظة الصحابة الذين هم سلف الامة وائمتها وأهل الحديث

والتصوف والفقه وحذاق أهل الكلام من الكلابية والأشعرية والكرامية والهاشمية وغيرهم ويتضمن أيضا تضليل الذين يعتقدون فى إحدى النفوس والعقول أنه رب العالمين وعابنهم أن يجعلوا ذلك هى الملائكة وتضمن تضليل من يعتقد فى ملك من الملائكة أنه رب العالمين على من يقر برب العالمين من الصفاتية المسلمين واليهود والنصارى وادا كان معلوما بالاضطرار من دين الرسل كلهم أن الفلاسفة الصابئة الذين يعبدون الملائكة مع قولهم إنهم مخلوقون هم أسوأ حالا من أهل الكتاب اليهود والنصارى مع ما وصف الله هؤلاء من المقالات العالية من التجسيم والتعطيل وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز عن اليهود أنهم قالوا (يد الله مغلولة) وأنهم قالوا (ان الله فقير ونحن أغنياء) وذكر أنه خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسه من لغوب لما قال من قال من اليهود انه استراح يوم السبت فبرأه نفسه عن أن يمسه لغوب وذكر قول النصارى ان المسيح هو الله وانه ابن الله وان الله ثالث ثلاثة ومع هذا فالمشركون الذين يعبدون الملائكة أو غيرها أسوأ حالا من هؤلاء باتفاق المسلمين مع اقرارهم برب العالمين فكيف تفضل من يقول ان ملكا هو رب العالمين على طوائف المسلمين واليهود والنصارى الذين يثبتون الصفات ولو فرض أن بعضهم أخطأ فى بعض ذلك هذا شبه ما ذكره الله بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) ومنشأ هذا الضلال الذى وقع فى بعض ابراهيم ما تقدم ذكره من ظنهم أنه قال ان الكوكب أو القمر أو الشمس رب العالمين وليس الأمر كذلك بل ابراهيم عليه السلام حاط قومه المشركين الذين كانوا مع اقرارهم برب العالمين يعبدون أصناما تحسبه وتهواه ويراه بادنى نظر يعبد المشترى وهذا يعبد الزهرة وهذا يعبد غيرها كما كانت الكواكب تعبد وكان أعظم ما يعبد من دون الشمس والقمر لظهور تأثيرهما فى العالم وكانوا يصورون هياكل على صور هذه المعبودات يصورون هيكل الشمس هيكل القمر هيكل زحل هيكل المشترى هيكل الزهرة هيكل عطارد وكانوا يذكرون الصابئون لأحدهم أن أصله سبعة فسئل رجل منهم كان هو من بعض الآخر فعمل له صورة وكان ابراهيم [illegible] وكان أعظم ما [illegible]

وقد صنف من صنف في مخاطبة الكواكب والسحر على مذهبهم مثل كتاب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم ونحو ذلك مما يذكر فيه مذهب الكلدانيين والكشدانيين وكانوا مع بنائهم هياكل النحوم يدعون هيكل العلة الاول وهيكل العقل وهيكل النفس ويفرقون بين هذا وهذا وقوا بحران وواسط أكثر من ثلاثمائة سنة في مدة الاسلام. وتنازع الفقهاء في قبول الجزية منهم. ومنهم من حمل للشافعي واحمد قولين. واستقراء القول فيهم على التفصيل فان من دان منهم بدين أهل الكتاب ألحق بهم والا فلا فدخلوا في النصرانية وشرح حالهم يطول والمقصود أن مخاطبة الخليل عليه السلام تضمنت الرد على الفلاسفة الصابئين المشركين وأمثالهم فان أحدهم كانت عبادته تابعة لما يحبه ويهواه فانهم انما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس. وأحدهم يظن أن عباده هذا الكوكب ومخاطبته تبعه بجلب منفعة ودفع مضرة فيبخده الها مع إقراره بانه مربوب ليس هو رب العالمين. وهؤلاء أحد أنواع المشركين وكانوا تارة يتخذون لهذه الكواكب أحساما على مايظنونه موافقا لطبائعها كما يلبسون لها من اللباس ويتخذون لها بالخواتيم ويتحرون لها من الايام مايظنونه موافقا لطبائعها وقد سمى ذلك علم الاستخدام والروحانيات وقد يتمثل لأحدهم شيطان يخاطبه ويقول هذه روحانية الكوكب أو خادمه كما كان لأصنام العرب شياطين تخاطبهم وكذلك في بلاد الترك والهند من الشياطين التي تخاطب المشركين ماهو معروف ولهذا قال الخليل في آخر أمره (اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) فتبرأ مما كانوا يشركونه بالله وذكر أنه وجه قصده وعبادته للذي فطر السموات والارض وهذه الحنيفية ملة ابراهيم التي بعث الله بها الرسل وهي عبادة الله وحده لاشريك له وليس في أمته احد اقر بالصانع بل كان الاقرار بالصانع ثابتا عندهم ولهذا قال في الآية الأخرى (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين) وقال أيضا (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون * الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) فهذا وغيره يبين أن القوم كانوا مشركين عبدة مثل ما كان مشركو العرب قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله

الا وهم مشركون) فهم يجعلون معه آلهة أخرى يعبدونها مع اعترافهم أنه وحده رب العالمين كما ذكر الله تعالى ذلك في غير موضع في القرآن في مثل قوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وكانوا يتخذونهم شفعاء وشركاء كما أخبر القرآن بذلك ولهذا قال الخليل لا أحب الآفلين فذكر أنه لا يحب الآفلين لانهم كانوا على عادتهم مثل عادة المشركين يعبد أحدهم ما يحبه ويهواه ويتخذ إلهه هواه وميوله لا احب الآفلين كلام مناسب ظاهر فان الآفل يغيب عن عابده فلا يليق وقت أفوله من يعبده ويستعينه وينتفع به ومن عبد ما يطلب منه المنعة ودفع المضرة فلا بد أن يكون دائما في جميع الأوقات فاذا أفل ظهر بالحس حينئذ أنه لا يكون سببا في نفع ولا ضر فضلا عن أن يكون مستقلا ولهذا قال ابراهيم في مناظرته لهم (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان * ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وهذه محاجة قوم كانوا يخوفونه بآلهتهم كما هي عادة المشركين يخوفون من يكسر طواغيتهم أي مصرة دلت فقال الخليل وكيف أخاف ما أشركتم وقد تركتموه بالله تعبدونه كما يعبد الله ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فان الله لم ينزل كتابا من السماء ولم يرسل رسولا بعبادة شيء سوى الله كما قال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الذي تعنون أو كما قال ألم تسمعوا قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وقد سمى هذا بغير هذا الوجه [illegible]

* الوجه الرابع عشر * [illegible]

يعبر عنها بالملائكة فيها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولأجلها قد تسمى أربابا ويكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في بواطنها متفاوتة فبالحرى أن يكون مثالها في عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب الى آخر الكلام ، فيقال لاريب أن تسمية هذه أربابا هو كلام اليونانيين وأمثالهم من المشركين فانهم يصرحون في كتبهم بتسمية هذه المجردات التي يقولون انها الملائكة أربابا وآلهة ويقولون هي الارباب الصغرى والآلهة الصغرى . وهؤلاء المتفلسفة الصابئة يسمون الملائكة والكواكب ، وأما الرسل وأتباعهم الموحدون فقد قال الله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) والامثال في ذلك كثيرة ثم معلوم لاضطرار أن [illegible] آلهة وأربابا بمعنى أن الشركاء هم الاوائل ولأجلها قد تسمى [illegible] هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم [illegible] ما أنزل الله بها من سلطان [illegible]

أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله من سلطان) بل لارب الا الله ربنا ورب آبائنا الاولين واذا قيل فى البشر رب كذا فانما يضاف الى غير المكلف كما يقال رب الدارورب الثوب وكما قال صلى الله عليه وسلم للأحوص الجشمي (أرب ابل أنت أم رب غنم) وكما قال (اذا اختلف البيعان فالقول ماقال رب السلعة) [1] وهذا مما يبين ضلال بعض من يتأول كلام شيوخ الاتحادية فانه لما قال فى الفصوص فصح قول فرعون أنا ربكم الأعلى وان كان عين الحق زعم بعض أتباعه قوله انما صح قوله كما يقال رب الثوب ورب الدار ونحو ذلك وأعجب من ذلك قول بعض أكابرهم انه أراد رب كم. ومعلوم أن هذه الاقوال لولا أنه يقولها بعض المسرفين من الشيوخ ويصلون بها أكابر من الناس لكان المؤمن في غنية عنها وعن حكايتها وردها لظهور فسادها لكل أحد * فيقال لهذا ان صاحب الفصوص عنده قد صرح بعدة تصريحا أزال الشبهة في غير موضع فلا حاجة الى هذا التكلف وقد قال لما كان فرعون فى منصب التحكم وانه الخليفة بالسيف وان صار فى العرف الناموسى لا لذلك قال أنا ربكم الأعلى أى ان كان الكل أربابا فانا الأعلى منهم بما اعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه رأسا وانه كذلك وقالوا لا نقض ما أنت قاض فالدولة لك فصح قوله أنا ربكم الأعلى وان كان عين الحق وقد صرح أنه عين الحق وأن قوله أنا ربكم الأعلى صح مع كون الجميع أربابا فسقط ما قالوه عنده هو الرب * ثم يقال له فرعون قد قال ماعلمت لكم من إله غيري وقال لموسى ومارب العالمين فانكر الصانع وذكر أن ذلك عنده فلا حاجة الى تأويل كلامه ويقال له لله سبحانه در موسى الكليم عليه السلام حيث لم يكن له غاية الا تكذيب فرعون وتعجيزه وقال (لقد أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) فعدل فرعون انه صبي مقتول بل قال الى آخر ما ذكره عنه ربك حتى تأتيه الآية المكذبة له وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فكان الآخرة والأولى [illegible] ذلك عذاب [illegible]

[illegible]

(1) [illegible]

وهي قوله ماعلمت لكم من اله غيري وكلمته الاخري وهي قوله فقال أنا ربكم الأعلى فان هذه أعظم من تلك ثم يقال أوجب ذلك أنه لايجوز لأحد أن يقول للانس والجن أنا ربكم غير الله تعالى ولا يجوز لاحد أن يجعل غير الله ربا كما لايجوز أن يوصف بالربوبية مطلقا الا الله وحده لاشريك له

﴿ الوجه الخامس عشر ﴾ ماذكرفي تفسير قصة موسى والوادي المقدس وتفسير ذلك فنقول * هؤلاء المتفلسفة في العقول والنفوس قد أشملوا هذا من الأصول المخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى مالايسع هذا الموضع لذكره مع ان دلالة هذه الالفاظ على تلك المعاني أفسد مما ردوه من التأويلات ونحن نعلم بالاضطرار من ملة المسلمين واليهود والنصارى ان الطور الذي كلم الله عليه موسى هو جبل من الجبال والطور الجبل وعلم بالاضطرار من دين أهل الملل والنقل بالتواتر ان الله لما كلم موسى كلمه من الشجرة وانه كان يخرج منها نار محسوسة وان موسى عليه السلام لما ضرب امرأته المخاض قال لعلي آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى طلب أن يجئ بجذوة نار أو يجد من يخبره وانه سبحانه وتعالى كلمه وهو بالواد المقدس طوى وعلم ان هذا التكليم الذي كلمه موسى لم يكلم غيره من الانبياء والرسل الا مايذكر من مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وعلى ماذكروه فلا فرق بين موسى وغيره من الانبياء وغير الانبياء قال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الآية وقال تعالى في سياق ذكر الانبياء (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا * وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وقد ذكر مناداته له ومخاطبته له في مواضع من القرآن ولم يذكر أنه فعل ذلك لغيره من الانبياء وقد مما أجمع عليه المسلمون وأهل الكتاب ان تكليم الله تعالى لموسى من خصائصه التي لم يشركه فيها غيره من الانبياء والرسل وفي الصحيح من الاحاديث مثل حديث الشفاعة

ومحاجة آدم موسى وذكر فضيلته بتكليم الله تعالى اياه وكذلك فى حديث المعراج من رواية شريك عن أنس وهو فى الصحيحين وهذا يطول ثم السلف والائمة ضللوا بل كفروا من قال ان الله خلق كلاما فى الشجرة أو الهواء فسمعه موسى كما يقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم (ومعلوم) أن هذا أقرب الى أقوال الرسل من قول هؤلاء المتفلسفة الذين يزعمون أن ذلك فيض فاض من العقل على نفس النبي كما يفيض على سائر الانبياء بل وغيرهم فان هذا ليس من مقالات أهل الملل لا سنيهم ولا بدعيهم لكن من مقالات الصابئة المتفلسفة الذين ليس عندهم فى الحقيقة كلام ولا ملائكة تنزل بكلامه بل ليس عندهم تمييز بين موسى وهرون ولا بينهما وبين فرعون فكيف يتصور على أصلهم أن يختص موسى برسالاته وكلامه غايته أن القلوب عندهم مثل آنية توضع تحت السماء فيقع فيها المطر أو بسات تنبسط عليه الشمس فتحمله فيكون ذلك بحسب القابل ولهذا يمكن عندهم أن يكلم كل واحد كما كلم موسى وعندهم قد يسمع أحدهم ما سمعه موسى وقد ذكر ذلك صاحب المشكاة فى غير هذا الموضع وهذا القول لاريب أنه يعلم بالاضطرار من دين الاسلام انه باطل وقد بينا فى غير هذا الموضع الشبهة الباطلة التى قالها من قالها من المتكلمين فى سماع كلام الله ورؤيته حيث قالوا ان ذلك ليس الا مجرد ادراك يحصل فى نفس العبد من غير أسباب منفصلة عنه وهذا مما أوقع الطائفة الاتحادية وغيرهم من المبتدعة فى دعوى رؤيته فى الدنيا وهو أيضا مما يحيرهم فى دعوى مقام التكلم نعوذ بالله من الضلال ونسأله الهدى والثبات على ... وقد فتحوا بهذه الجرأة على الله فلا يزال أحد هؤلاء يدعى ما خص به المتكلم فى شريف مقامه الجليل ولا يميزون لضلالهم وجهلهم ما يوحيه الله تعالى الى أنبيائه من الالهام والحديث الذى نحن عرضه على الكتاب والسنة وبين تكليمه لنبيه موسى من وراء حجاب كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) فقرن بين ما يوحيه والايحاء الاعلام الخفى السريع وبين تكليمه لموسى من وراء حجاب بمجرد ايحاء وقد قال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) وقال (واوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم ... فى أمتى ... ما زالت ... يكون ... الالهام ...

الرسل والانبياء فضلا عمن سواهم ولما كان هؤلاء المتفلسفة ومن سلك سبيلهم يجعلون كلام الله كله لموسى وغيره من الانبياء مايفيض على نفوسهم من العقل الفعال وادت الاتحادية درجة أخرى فجعلوا كلامه كل مايظهر من شيء من الموجودات وهؤلاء يصرح أحدهم بان ما يسمعه من بشر مثله أعظم من تكليم الله لموسى لان دلك بزعمهم كلام الله من الشجرة وهي جماد وهذا كلام الله من الحيوان والحيوان أعظم من الجماد، وطائفة أخرى منهم يقولون ان الالهام المجرد وهي المعاني التي تتنزل على قلوبهم أعظم من تكليم الله موسى لان هذا بزعمهم خطاب محض بلا واسطة ولا حجاب وموسى خوطب بحجاب الحرف والصوت وأمثال هذا الكلام الذي تتضمن رفع أحدهم على تكليم الله تعالى لموسى الذي علم بالاضطرار من دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أنه أعظم من خطابه وايحائه لسائر الانبياء والمرسلين ولهذا تقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة ويشدون

مقام النبوه في برزخ * فويق الرسول ودون الولي

ويقولون ان ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ثم يدعي أحدهم ان ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم هي عندهم أعظم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم وحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في أصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطه والنبي والرسول بواسطة ولهذا جعلوا مايفيض على نفوسهم ويجعلونه من باب الخاطرات الالهية والمكاشفات وراية أعظم من تكليم موسى من عمران وهي في الحقيقة إلهامات شيطانية ووساوس نفسانية وان الذي يأخذونه عن الرسول أن يأخذوه عن الولي ما يأخذه عن الرسول لان [illegible] أفضل من عمر [illegible] وكان عمر كان [illegible] صلى الله عليه وسلم انه قال (لقد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر) رواه الترمذي لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر [illegible] هذا الحديث انما كان يتلقى من مشكاة النبوة [illegible] الصواب والخطأ [illegible] من مشكاة النبوة

فهذا حال محدث السابقين الاولين وهو عمر بن الخطاب وهو أفضل من غيره والصديق أكمل منه وأتم مقاما فهذا حال خير السابقين الاولين وأفضل الخلق بعد الانبياء والمرسلين فكيف بهؤلاء الذين فيهم من الباطل والضلال مالا يعلمه الا ذو الجلال والاكرام ، وكذلك جعله أمره بخلع النعلين يتضمن ترك الدنيا والآخرة أمر لا يدل عليه لا حقيقة اللفظ ولا مجازه ان صح المجاز ولم يذكر عن أحد من المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين ولا من غيرهم ان ذلك مرادا من هذا اللفظ بل قد ذكروا ان سبب الامر بخلعهما كونهما كانا من جلد حمار غير مذكي ثم هذا الخلع صار سنة اليهود عند عاداتهم ونحن قد أمرنا بمخالفتهم في ذلك فكيف يجعل مضمون هذا الخلع مشروعا لنا ونحن نأباه ، وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم وفي الصحيحين عن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه وفي المسند وسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك ألقيت نعلك فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتاني فاخبرني أن فيهما قذرا وقال اذا جاء أحدكم الى المسجد فلينظر فان رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما ، وفيهما أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وطىء أحدكم بنعليه الاذى فان التراب له طهور وفي رواية اذا وطىء الاذى بخفيه فطهورهما التراب فكثير من الناس يقول في تفصيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مضمون هذا الخلع الذي أمر خلع نعليه بالوادي المقدس وما يؤمر شيء ليلة التعريج مع علو درجته على غيره ولو كان ذلك أمر بترك الدنيا والآخرة لكان محمد صلى الله عليه وسلم مأمورا بذلك وكان ذلك شرعا لا يتغير من عهده

المعاني بهذه العبارات مع تغيير ألفاظها الذي حصل لا [illegible] يدع الصلاة طنا أن هذا المقام [illegible] يبطل أحدهم صلاته لا يصح للانبياء فصلا عن أن يصح لامثاله حتى يقع فيما هو [illegible] الكبائر [illegible] المتقين [illegible]

حتى ذكر في كتابه من أنواع الباطل ما ذكره وشرحه ابن عربي صاحب الفصوص فتارة يشتمه ويسبه ويقول انه من أجهل الناس وتارة يجعل كلامه في نهاية التحقيق والعرفان * ومن المعلوم انه لابد في كلامه وكلام غيره من أمور صحيحة ومعان حسنة لكن هي متصمنة من الباطل والضلال مايفوق الوصف فان أحد هؤلاء ان امكنه أن يدعي الالهية أو النبوة ولو بعبارة غريبة لاينفر عنه الناس فعل حتى كان في زماننا غير واحد ممن ادعى بي وأنكرت عليه وجرى لنا في القيام عليهم فصول ممن يدعي الرسالة ظانا ان هذا يسلم له اذا لم يسلم له النبوة فيدعون الرسالة فاذا جاء من يخاف منه من العلماء ادعى أحدهم الارسال العام الكوني كارسال الرياح وارسال الشياطين وتارة يدعي ارسال الرسل كقصة صاحب يس أي في مرة صاحب يس وقد وضح للعالم ان الرسالة التي وصف بها الانبياء مجموعة اذ هي أخص من النبوة وعلم أن النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم مدعة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله ختم بي النبوة والرسالة وأما الارسال الثاني فلا يكون مع مشاهدة الرسول لا في حياته وأما بعد موته فتابع القرآن والايمان والسنة أمر مشترك * وتارة يدعي أحدهم انه خاتم لاولياء ظانا ان خاتم الاولياء أفضلهم قياسا على خاتم الانبياء ثم يدعون لخاتم لا ان ما هو أعظم من النبوة والرسالة وخاتم الاولياء كلمة لا حقيقة لها وصرحنا وانما تكلم أبو عبد الله الترمذي شيء من ذلك علطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ولم يسبق الى شيء مما تكلم به هو حرموني بل يكون ذلك خاتم الاولياء وليس ذلك أفضل الاولياء اطلق المسلمون أفضل أولياء امتهم وأمرهم الى الرسول وهو أبو بكر ثم عمر والاولياء متفاضلون من الانبياء ومرجعهم الى الرسول أفضل خلافا لخاتم الرسل فان الله أرسله بما أوجب على جميع الناس متابعته فصار أفضل من غيره وجوب كونه أفضل من كل انسان وتارة يدعي أحدهم أنه القطب الغوث الفرد الجامع ويدخل في هذه الاسماء ما يخص من خصائص الربوبية مثل كونه يعطي الولاية من يشاء ونصرها عن من شاء ونحو ذلك من الامور التي لا تفهم من أحد وقال ليس لك من الامر شيء وقد بسطنا الكلام على هذا الموضع

[illegible] من المخلوقات عن وجود الرب تعالى [illegible] عين الذين

يدعون ان الوجود واحد فلا يتميز وجود مبدع عن وجود مبدع ولا وجود خالق عن وجود مخلوق وهم يصرحون بهذا في كتبهم وفي كلامهم ولكنهم في حيرة وضلال عنهم اذا يشهدون ان بين الموجودات تبايناً وتغايراً فيريدون أن يجمعوا بين ما ادعوه من وحدة الوجود وبين التعدد للموجود فاضطربوا في ذلك ﴿ فأما صاحب الفصوص فكلامه يدور على أصلين ﴾ أحدهما ان الاشياء كلها ثابتة في العدم مستغنية بنفسها نظير قول من يقول المعدوم شيء لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق اذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة وان كان قد يناقض ذلك قولهم فانهم كلهم يتناقضون وكل من خالف الرسل فلا بد أنه يتناقض قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ؛ الاصل الثاني ان الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة هو عين وجود الحق الواجب ﴿ ولهذا قال في أول الفصوص في الشيثية ﴾ ومن هؤلاء يعني الذين لا يسألون الله من يعلم ان علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه الا ما أعطاه عينه من العلم به وهو ما كان عليه من حال ثبوته فعلم علم الله به من أين حصل وما هم صنف من أهل الله اعلى ولا كشف من هذا الصنف هم الواقفون على سر القدر وهم على قسمين منهم من يعلم ذلك مجملا ومنهم من يعلم ذلك مفصلا أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملا فانه يعلم ما في علم الله وهو إما بإعلام الله اياه بما أعطته عينه من العلم به وإما بأن يكشف له عن عين الثابتة وانتقالات الاحوال عليها الى ما لا نهاية له فيكون علمه بنفسه كعلم الله به لان الآخذ من معدن واحد كما أعطى ربح ما يتجر فيه صاحبه وهو رأس المال لا يعطيه الا ما يعلم من العلم بحمل حق ما يتجر فيه لا زيد ولا نقص ما كانت عليه عينه وحمل لا يعلم بحدوده من حيث نفسه الى انتهاء حال صورة أمره الذي هو أحوالها حينئذ ورغم ان الله لما يساوي بين هذا العلم وبين العلم الذي [illegible] له في ذلك فقال لانه الآخذ من معدن [illegible] سألت الله من حيث حوال عينه [illegible] على أحوالها الى أن [illegible] في حضرة العلم وبين هذا العلم [illegible]

له في هذا المشرب شرب فتبين مساواة العبد له في العلم وان علم الله حادث كما ان علم العبد حادث
(وهذا أصل مذهبه) ان كل واحد من وجود الحق وثبوت الخلق يساوي الاخر ويفتقر اليه
كما ذكره في الخليلية وغيرها ولهذا يقول فيعبدني واعبده ويحمدني وأحمده ويقول ان الحق
يتصف بجميع صفات العبد المحدثات وان المحدث يتصف بجميع صفات الرب مع انه يقول انهما
شيء واحد اذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت فهو يقول في الكون كله نظير ماقالته
الملكانية من النصارى في المسيح لكنه يزيد عليهم بأن يسوي بين الحق والخلق وان الحق
مفتقر الى الخلق وان الأمر عنده لم يزل كذلك مع زيادته عليهم فانه قال في جميع المخلوقات
أعظم مما قالوه في المسيح ثم أخذ يتكلم في منح الحق ذاته وبين انه اذا منح العبد وجوده فانما
يكون بحسب ماعليه ذواتهم ولا يرون الا صورة ذواتهم في وجوده ولا يرون الحق أبداً ولا
يمكن أن يروه لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ ليس له وجود سوى ذوات المخلوقات وماسوى
وجود المخلوقات عدم * قال فأما المنح والهبات والعطايا الدانية فلا تكون أبداً الا تجلي الهي
والمتجلى من الذات لا يكون الا بصورة استعداد المتجلي له وغير ذلك لا يكون فاذاً المتجلي له
مارأى سوى صورته في مرآة الحق ولا يرى الحق ولا يمكن أن يراه مع علمه انه مارأى صورته
الا فيه كالمرآة في المشاهدة اذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك انك مارأيت الصورة أو
صورتك الا فيها فانظر الله تعالى ذلك مثالاً نصبه لتجليه للذوات ليعلم المتجلى له انه مارآه وماثم
مثل اقرب ولا أشبه بالرؤية والمتجلى من هذا رأجهد في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة
أن ترى حرم المرآة لا يراه أبداً ألبتة الى أن قال واذا دمت هذا دقت الغاية التي ليس فوقها
غاية في حق المخلوق ولا تتصنع ولا تتعسف في أن ترتقي الى أعلا من هذا المدرج فما هو ثم
أصلاً وما ثم [illegible] مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته أسماءه
وصور أحكامه وليست سوى عينه فاحتد الأمر وانبهم فما من جهل وقال والعجز عن درك
الادراك ادراك وما ثم من علم لم يقل مثل هذا وهو أعلى القول بل أعطاهم العلم السكوت ماأعطاه
العجز وهذا هو أعلى ماأعطاه الله هذا نعطاه ثم انه لم يكتف بهذا الذي ذكره مما حقيقته جحود
الخالق وانه ليس ثم وجود سوى المخلوقات وهي حقيقة قول فرعون جعل العالم بذلك أعلى
علماً منه حين جعل [illegible] المعلوم عند العلم من مسكاة الذي جعله حاتم

الاولياء وجعله أفضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وانه يأخذ عن الأصل من حيث يأخذ الملك الذي يوحي الى خاتم الرسل وان خاتم الرسل انما هو سيد في الشفاعة فسيادته في هذا المقام الخاص لا على العموم فقال وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء وان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون أنزه كما انه من وجه يكون أعلى وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فصل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم وفي تأبير النخل مما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبة العبد لله هنالك مطلبهم وأما حوادث الاكوان فلا تعلق لخواطرهم بها ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان النبي صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة غير انه لا يراها الا كما قال لبنة واحدة وكان يرى نفسه موضع تلك اللبنة وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤية فيرى ما مثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين من ذهب وفضة فيرى اللبنتين ينقص الحائط بهما ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة ولا بد أن يرى نفسه منطبعا في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الاولياء تلك اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الاحكام كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لانه يرى الامر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فانه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسل فان همت ما أشرت له فقد حصل لك علم الجامع فكل نبي [illegible] من آدم الى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان آخر رحمة صيغة ما به حقيقة محمدية وهو قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وعليه الكل من أول رحمة شرعية الى آخر ذلك خاتم الاولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين وعليه من الاسماء [illegible] من الأخلاق الالهية في الاتصاف بها من كون الله تعالى [illegible] من حيث

ولايته لنبيته مع الحكم للولاية نسبة الانبياء والرسل معه فان الولي الرسول النبي وخاتم الاولياء الولي العارف الآخذ عن الاصل المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة فمين حالا حاصا ماعم وفي هذا الحال الخاص مقدم على الاسماء الالهية فان الرحمن ماشفع عند المنتقم في أهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين فقام محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام الى أن قال * وبهذا العلم سمي شيث لان معناه هبة الله فيده مفتاح العطايا على اختلاف أصنافها ونسبها فان الله وهبه لآدم أول ماوهبه وما وهبه الا منه لان الولد سر أبيه فمنه خرج والده عاد فما أتاه غريب لم ينقل عن الله وكل عطاء في الكون على هذا المجرى فما في أحد من الله شيء وما في أحد سوى نفسه وان تنوعت عليه الصور وما كل أحد يعرف هذا وان الامر على ذلك الا آحاد من أهل الله فاذا رأيت من يعرف ذلك فاعتمد عليه وذلك هو عين صفات خلاصة خاصة الخاصة من عموم أهل الله فأي صاحب كشف شاهد صورة تلقى اليه ما لم يكن عنده من المعارف وتمنحه ما لم يكن قبل ذلك في يده فتلك الصورة عينه لا غيره من شجرة طوبى حتى ثمرة عرسه ﴿وقال أيضا في الادريسية﴾ من اسمائه الحي العلي على من وما ثم الا هو العلي لذاته أعني ماذا وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات والمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو فهو العلي لا علو اضافة لان الاعيان التي لها العلم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود فهي على حالها مع امداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الاسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس الا العين التي هي الذات من غير النفي لنفسه لا بالاضافة فعلو الاضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك يقول فيه هو لا هو أنت لا أنت قال أبو سعيد الخراز وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بان الله لا يعرف الا بجمعه بين الاضداد في الحكم عليها هو الاول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر في حال بطونه وهو [illegible] ظاهر لنفسه باطن [illegible] * ومن عرف [illegible] الحق الذي هو الحق الذي هو الخلق الذي هو وان كان قد تميز

انظلق من لخالق بالامر الخالق المخلوق والامر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان وظهر بصورة انسان وظهر بصورة والد بل بحكم ولد والد من هو الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه فمنه الصاحبة والولد والامر واحد في العدد فمن الطبيعة ومن الظاهر فيها وما رأياها تقصت بما ظهر فيها ولا زادت بعد ما ظهر وما الذي ظهر غيرها وما هي عين ما ظهر لاختلاف الصور بالحكم فهذا مارد يابس وهذا حار يابس فجمع بين اليبسين وأبان تغير ذلك والجامع الطبيعة لا بل العين الطبيعة بل معالم الطبيعة صور في مرآة واحدة لا بل صورة واحدة في مرآة مختلفة فما ثم الا حيرة لتفرق النظر ومن عرف ما قلناه لم يحر وان كان في مزيد علم وليس الامر الا حكم المحل والمحل عين العين الثابتة فيها يتنوع الحق في المحل بتنوع الاحكام عليه فيقبل كل حكم وما يحكم عليه الا عين ما تجلى فيه ما ثم الا هذا ثم أنشد

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا * وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته * وليس يدريه الا من له بصرو
جمع وفرق فان العين واحدة * وهي الكثيرة لا تبقى ولا تذرو

فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي فيه تستغرق جميع الامور الوجودية والنسب العدمية بحيث لا يمكن أن يفوته نصيب منها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة * فهذا وغيره من كلامه بين ان الوجود عنده واحد وليس للخالق وجود مباين لوجود المخلوقات بل وجودها عينه ثم يذكر الظاهر الخيالي والمراتب وهي عنده الدوات الثابتة في العدم المساوية للوجود وأما أسماء الله تعالى فهي عنده النسب التي بين الوجود وبين هذه المراتب وهي في الحقيقة أمور عدمية فكل من الوجود والثبوت لا ينفك عن الآخر ولا يستغني عنه وهو شيء يقول من يقول الوجود غير الماهية وهو ملازم لها والمادة غير الصورة وهي ملازمة لها لكن صاحب الفصوص يجعل وجود هذا الوجود الحق الذي هو وجود كل شيء هو الموصوف عنده بجميع صفات النقص والسم والكدر والفواحش والكذب والجهل كما هو الموصوف عنده بصفات المدح والكمال

فهو العالم والجاهل والبصير والأعمى والمؤمن والكافر والناكح المنكوح والصحيح والمريض والداعي والمجيب والمتكلم والمستمع وهذا كله يذكره في مواضع من كلامه وهذا عنده غاية الكمال وفي هذا المعنى ينشدون

وكل كلام في الوجود كلامه ٭ سواء علينا نثره ونظامه

وهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم وقد يقول لا هو العالم ولا غيره وقد يقول هو العالم أيضا وهو غيره وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها في المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين إذ ليس مذهبه في النغيرين مذهب الصفاتية

﴿ فصل ﴾ وأما صاحبه القونوي فقد كان التلمساني صاحب القونوي وهو أحذق متأخريهم يقول انه كان أتم من شيخه ابن عربي وكان ابن سبعين يقول عن التلمساني إنه أتم تحقيقا من شيخه القونوي والقونوي أعرض عن كون المعدوم ثابتا في العدم فان هذا معلوم الفساد عند الأئمة في المعقول والمنقول ولكن سلك طريقا هي أسلم في التعطيل مضمونها ان الحق هو الوجود المطلق والفرق بينه وبين الخلق من جهة التعين فاذا عين كان خلقا واذا أطلق الوجود كان هو الحق هذا وقد علم ان المطلق بشرط اطلاقه لا وجود له في الخارج عن محل العلم فليس في الخارج انسان مطلق بشرط الاطلاق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق ولا جسم مطلق بشرط الاطلاق ولا موجود ولا وجود مطلق بشرط الاطلاق فاذا قال ان الحق تعالى هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق فهذا لا وجود له في الخارج وانما الذهن تقدر وجودا مطلقا كما تقدر حيوانا مطلقا وانسانا مطلقا وفرسا مطلقا وجسما مطلقا وان قال انه المطلق لا بشرط فهذا لا يمكن ان يقال انه لا وجود له في الخارج أيضا وانما أن يقال هو موجود في الخارج لكن بشرط العموم إذ ليس في الخارج إلا وجود معين فعلى أحد التقديرين يكون وجود الحق هو نفس وجود المخلوق وعلى الآخر لا وجود له في الخارج وكلامهم كله يدور على هذين القسمين اما أن وجود الحق لا وجود له ولا حقيقة في الخارج أصلا وانما هو أمر مطلق في الأذهان [illegible] كالكليات المعقولات حاقق عينها أصلا ولا [illegible] كان [illegible] لا يسعهم ذلك (ولما كان [illegible] ولا [illegible] كانوا [illegible] الى الاسلام

كان كلام الجهمية يدور أيضاً على هذين الأصلين فهم يظهرون للناس والعامة ان الله بذاته موجود في كل مكان أو يعتقدون ذلك وعند التحقيق اما يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا محايث له ولا متصل به ولا منفصل عنه وأشباه هذه السلوب فكلام أول الجهمية وآخرهم يدور على هذين الأصلين اما النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه واما الاثبات الذي يقتضي انه هو المخلوقات أو جزء منها أو صفة لها وكثير منهم يجمع بين هذا الى وهذا الاثبات المتناقضين وادا حوقق في ذلك قال ذاك سلب مقتضى نظري وهذا الاثبات مقتضى شهودي وذوقي ومعلوم ان العقل والذوق اذا تناقضا لزم بطلانهما أو بطلان أحدهما (وأما ابن سبعين) فقوله يشبه هذا من وجه وهو الى قول القونوي أقرب لكنه يجعله الوجود الثابت الذي يختلف على صور الموجودات فانه يقول بثبوت الماهيات المطلقة في الموجودات المعينة ولا يقول بانفكاكها عن الوجود (وهذا قول ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة) وهذا كما ترى مع موافقته لقول من يقول المعدوم شيء هو يخالفه من هذين الوجهين ويقول مع ذلك ان وجوده هو تصور الماهيات فارة يجعله بمنزلة المادة الجسمية والاشياء بمنزلة صورها والقول بأن الجسمية مركبة من المادة والصورة قول الفلاسفة المشائين وابن سبعين يحتذي حذوهم ويقول انه مقدم عليهم وعلى غيرهم ويقول انه أتى بالحكمة التي رمز اليها هرامس الدهور الأولية وبين العلم الذي رامت إفادته الهداية السوية * وقد نازعوا في إمكان انفراد المادة عن الصورة فأرسطو وأصحابه على انه لا يمكن انفكاكها خلافاً لأفلاطون ويزعمون ان المادة جوهر روحاني قائم بنفسه وان الصورة الجسمية جوهر قائم بها وان الجسم يتولد من هذين الجوهرين والعقلاء والمحققون يقولون ان هذا باطل كما قد بسطناه في غير هذا الموضع * والهيولى عندهم أربعة أقسام الصناعية والطباعية والكلية والالهية فالصناعية كالدرهم الذي له مادة وهي الفضة وصورة وهي الشكل المعين وكذلك الدينار والخاتم والسرير والكرسي وكذلك هذا التقسيم لا نزاع فيه بين العقلاء لكن هذه الصورة عرض من أعراض هذا الجسم وصفة له ليست جوهراً قائماً بنفسه وهذا أمر معلوم ضرورة حساً وعقلاً وأما الطبيعية فكالحيوان والنبات والمعدن فانه أيضاً محدث من مادة كالمني [illegible] وهذا أيضاً لا نزاع فيه لكن هذه الصورة جوهر قائم بنفسه مستغن عن تلك المادة التي حدثت به كما [illegible]

العاقل هذين النوعين علم فساد قول من يجعل الصورة في النوعين جوهرا كما يقوله من يقوله من المتفلسفة ومن يجعل الصورة في الموضعين صفة وعرضا كما يقوله من يقوله من المتكلمة الجسمية * وأما القسم الثالث الذي هو الكلي فهو دعواهم ان الجسم له مادة هي جوهر قائم بنفسه لا يحس وانما هي مورد الاتصال تارة والانفصال العارضين للجسم تارة وان هناك شيأ هو غير الجسم الموصوف بالاتصال تارة والانفصال أخرى وهذه المادة باطلة عند جماهير العقلاء كما قد بيناه في غير موضع وان كان أيضا تركيب الجسم من الجواهر الفردة باطلا أيضا عند جماهير العقلاء لا هذا ولا هذا * ثم هذه المادة قد ذكروا عن افلاطون انه قال يمكن افرادها عن الصورة كما يحكون عنه نظير ذلك في المدة وهي الدهر وفي المكان وهو الخلاء انهما جوهران قائمان بانفسهما من أقسام العالم * وفي المثل المعلقة الافلاطونية * المكان والزمان والمادة والصور قول متشابه وجمهور العقلاء يعلمون ان هذا الذي أثبته في الخارج انما هو في الأذهان لا في الاعيان ومن المعلوم ان قول من يقول ان هذه المادة المدعاة أمر جزء للجسم يمكن تجريدها عن الصورة شبيه بقول من يقول المعدوم شيء ثابت ثبوتا محققا أو أمر موجود (في ذلك الباطرة المعروفة) لأبي اسحاق الاسفرائيني مع الصاحب اسماعيل بن عباد وفيق القاضي عبد الجبار وكلاهما تلميذ أبي عبد الله البصري المتكلم القائم بمصر طريقة أبي علي وأبي هاشم لما ذكر له ابن عباد ان الفلاسفة القائلين بقدم الهيولى أعقل من أن يريدوا بذلك الوجود وانما أرادوا ثبوت الذوات التي تقوله المعتزلة فعارضه الاسفرائيني أن قال المعتزلة أعقل من أن يريدوا بقولهم ان المعدوم شيء ثابت الا أمرا أولئك بقولهم بأن المادة قديمة موجودة وتكون المعتزلة قائلة بقدم المواد التي هي الاجسام * وقد ذكر الشهرستاني وغيره مذاهب القدرية وان كان كلاهما باطلا وان كان قول هؤلاء الفلاسفة أشد بطلانا فهو باطل مكرر عن دعوى تركب الاجسام من المادة والصورة الذي هما جوهران قائمان بنفسهما دعوى باطلة كما هو قول أرسطو ودونه ثم دعوى انهما بطريق [illegible] وقول هؤلاء الفلاسفة القائلين بوجود الاشياء زائدة على ذواتها في الخارج ويقولون ان الماهيات الممكنة ثبوتها في الخارج هو الوجود الواجب هو الوجود المقيد بقيد كونه [illegible] وحينئذ [illegible] الوجود المطلق الذي

لا يتحقق الا في الاذهان لا في الأعيان وهو في الحقيقة تعطيل لوجود الواجب وعلى هذا فقول القائلين من المعتزلة والمتفلسفة بأن الوجود ماهية موجودة في الخارج زائدة على الوجود في الخارج الذي هو الموجود في الخارج وان الوجود قائم بتلك الماهية هو شبيه بقول من يقول ان الجسم مادة هي جوهر قائم بنفسه وهو محل الصورة الجسمية التي هي أيضا جوهر وهؤلاء يعمدون الى الشيء الواحد المعلوم واحدا بالحسّ والعقل يجعلونه اثنين اذ كان له وجود عيني ووجود ذهنيّ فظنوا ان الذهني خارجي (ثم جاء المدعون أنهم محققوهم) الى ما يعلم انهما متباينان وهو وجود الخالق سبحانه الباقي المتميز عن وجود المخلوق فزعموا انه هو وان الوجود واحد لا يتميز منه وجود الخالق (فقول ابن سبعين) يشبه قول ابن عربي من حيث ان قوله يشبه قول أهل المادة والصورة كما يشبه قول دلك قول أهل الثبوت والوجود المفرقين بينهما الذين يقولون المعدوم شيء لكن ابن عربي يجعل الوجود الذي هو حالّ في الثابت والثبوت محل له هو وجود الحق كما تقدم فهو وان كان يقول بأن الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد والحلول من هذا الوجه ولا ريب ان القولين متناقضان وهو يذكر تناقض ذلك ويشير الى أن ذلك هو الحيرة وهو أعلى العلم (وابن سبعين) يجعل وجود الحق هو الثابت بذاته الذي هو كالمادة والخلق هو المستقل الذي هو الصورة فهو وان قال بأن الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد والحلول من هذا الوجه لكن الحق عنده محل للخلق وعلى قول ابن عربي حال في الخلق وقد تقدم ذكر بعض قول ابن عربي (وأما ابن سبعين) ففي بعض الواحد يقول قد رأى للصورة المحيطة لجميع الصور لها اسم من حيث هي صورة في متصور قائم بذاته وهي دائمة به وللمتصور من حيث هو موصوف بها اسم ولما ارتبطا ارتباطا لا يصح انفكاكه أبدا دخلت الحيرة الى يوم القيمة ولم يصح الاخبار عن مطلق الصورة الا ومطلق المتصور ضمنا ولا محيط المتصور الا والصورة ضمنا فالمتصور بالصورة يسمى ظاهر الصورة ظاهرا وباطنها باطنا ويحكم عليه بكل حكم قبلته الصورة من اطلاق وحصر وغيبة وحضور وأحدية وكثرة وجمع وتفرقة وسذاجة ولون وحركة وسكون الى مالا ينضبط كثرة من الاسماء والصفات فالصورة من حيث هي جميع التعددات والتقلبات والتحولات والتفاصيل والمتصور من حيث هو لا من حيث هو لا وصف ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا حدود ان كان له شيء من ذلك ولكن لما رأى سريانية صورة الاطلاق

فله الاطلاقات الوجودية والجمع والسذاجة والسكون والثبوت وشبه ذلك والصورة من حيث هي لكن من تقدير قيامها بفائض هذه ولا حدثت عنها ولا عنه الا بقيد ارتباط بعضها ببعض أول مرتبة من مراتب الارتباط بفائض ذلك وهي الحصرة والكثرة والفرقة والالوان والحركات والتنقلات لكن لا يقع الحديث الا عنهما معا بل كل كلام منطوق به أي القسمين غلب عليه فان كان الكثرة والتعدد واحواتهما فاعلم أن المخاطب هو الصورة والخلق يتصورها وصفا وان غلبت الوحدة واحواتها فالمخاطب بذلك المتصور الحق فاذا رأيت التعدد والتنقل والحركة والولادة فدلك للصورة والخلق واذا رأيت الوحدة والثبوت ولم يلد ولم يولد فدلك للحق القائم على كل نفس بما كسبت وكل شئ هالك الا وجهه هو الحق القائم على كل شئ لان الاعراض وهي الصورة لا تبقى زمانين أصلا بل تتبدل في كل نفس اما بمثل أو بضد أو خلاف لانها لذاتها ثابتة واما المسمى بقاء هو توارد الامثال في كل نفس فظن أن الثاني عين الأول وليس كذلك ولا يسمى ذلك لان القائم به (كل يوم هو في شأن) يريد تعالى كل نفس فيرد المثل بعد المثل ولا يشعر بذلك المحجوب فيظن أن ذلك الأول باق وهيهات لا بقاء الا لله وحده والفناء لكل ماسواه بالذات في كل نفس والصورة الحرفية تبقى بتوالي الامثال * الى أن قال * واما مطلق الصورة فبقاؤها عدم الخلق عن الصور سواء كانت امثالا لها أو مضادة أو مغايرة لمقصود عمران مطلق الصورة الوجودية صورا فالوجود واحد وهو القائم بجميع الصور غير الخالي عنها على التعاقب والصور هي الهالكة وأما الدعامة دورانا كائنة فانية شاهدة غائبة بديعة حديثة موجودة معدومة (فاس سمين) في هذا الكلام حمله كالماده وحمل المخلوق كالصورة وهما مرتبطان لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر وفي هذا من الفضل والكبر ما لا يخفى على عاقل مع ما في الكلام غير ذلك مثل قوله عن الصورة بالاعراض والعرض لا يبقى زمانين عند الذين قالوا ان العرض لا يبقى زمانين وان كان أكثر العقلاء على خلافهم بل الصورة التي هي الجسم وانما قصدوا الاعراض القائمة بالجسم وسيأتي بحكي عن النظام أنه قال الاجسام لا تبقى زمانين فهذا يشبه قول النظام * وفي كلام ابن عربي ما يشعر بتعدد رتبة محل الوجود المطلق الذي تتعاقب عليه الموجودات المعدومات ويحمل الوجود على الموجودات ويسلبها الوجود ويسلم حملها ثابتة في العدم كما قال في نوح احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ثم قال ومنهم من سبق عليه القول حتى قد يحمل لونه في رؤوسهم مسامة في جسمه

وتذكره قال هو الكل بك معينا وكل الكل بك لا معينا وأنت المخبر به لا معينا وجزء المخبر به لا معينا وأنت لا به لا شيء وهو لا بك ثابت ابداً فالكمال له بك معينا وكمال الكمال له لا بك لا معينا ودونك لا وصف له الا الثبوت وهو الوجود في كل موجود وهو مع كل شيء ومتى سرى في ذلك الشيء حكم الى غيره فمنه لا من ذلك الشيء فله في ذلك الحكم ايجاده وللشيء فيه التشبه فقط لانه في الماء ماء وفي النار نار وفي الحلو حلو وفي المر مر فمهما سرى حكم من شيء الى شيء فله هو في ذلك الحكم ايجاده وللشيء فيه التشبه فهذا الكلام يتضمن أنه هو وجود العالم وكل جزء من العالم اما أن يوجد معينا كهذا الانسان وهذا النبات أو مطلقا كالانسان والنبات فكل جزء اذا أخذ غير معين فهو جزء من وجود العالم وان أخذ معينا فهو من المطلق الذي هو جزء من وجود العالم فهو والعالم هو الكل للجزء اذا عين واذا أطلق ولم يعين فهو كل النوع الذي هو كل المشخص (واعلم) انا لم نقصد في هذا الجواب الرد على هؤلاء وبيان ما في كلامهم من الكفر والباطل والضلال فقد أوضحنا ذلك في غير هذا الموضع وبيناه بيانا شافيا وانما القصد هنا التنبيه على حل أقوالهم لتتصور فان تصورها يكفي في بيان بطلانها فان هذا الكلام وان تضمن أنه ليس غير العالم وتضمن تعطيل أن يكون للعالم خالق مباين له كما هو معلوم بالضرورة من دين جميع أهل الملل بل من دين كل من يقر بالصانع وهم يصرحون بذلك كما تقول ابن عربي ان العالم صورته وهويته فانه متناقض باطل في نفسه فان الناس يعرفون انقسام الكلي الى جزئياته كانقسام الجنس الى أنواعه والى اشخاص أنواعه كانقسام الحيوان الى الناطق والأعجم وانقسام الناطق الى العربي والعجمي وانقسام الكلمة الاصطلاحية الى الاسم والفعل والحرف وانقسام الماء الى الطهور والطاهر والنجس واشباه ذلك وهذا اسم المقسوم يصدق على الاقسام وانقسام الكل الى اجزائه كقسمة الميراث بين الورثة والعقار وغيره بين الشركاء ومنه (وبينهم أن الماء قسمة بينهم) ومنه انقسام الدار الى السقف والارض والحيطان وأعضاء البدن الى معجون ومسرح وهذا القسم هو الذي أراده من قسم الكائن الى الاسم والفعل والحرف واذا كان كذلك فهؤلاء تارة يجعلون الحق تعالى لا جزء العالم كالكل لاجزائه فيجعلون كل شيء من العالم بعضا منه وجزأ له كامواج البحر من البحر ويشبهون

وما البحر الا الوج لاشيء غيره ... وان تعددت منه كثرة بالعدد

وتارة يجعلونه هو الوجود المطلق المنقسم الى قائم بنفسه وغيره وربما يجعلونه الوجود من حيث هو هو المنقسم الى واجب وممكن فاذا أرادوا الاول كان هو نفس العالم اذ العشرة ليست غير الآحاد لكن لها صورة الاجتماع وكما ان اعضاء الوضوء ليست غير الممسوح والمغسول ولكن لا وجود للجملة الا باجزائها (ثم من العجائب) انهم يبنون كلامهم على غاية النفي والتنزيه الذي هو محض التعطيل فينفون الصفات لان الصفات تستلزم في زعمهم التركيب والمركب مفتقر الى اجزائه واجزاؤه غيره والمفتقر الى غيره ممكن ليس واجب بنفسه فهذه هي عمدتهم في نفي صفاته الثبوتية * وقد بسطنا الكلام على فساد هذه الحجة في غير هذا الموضع بسطا تاما وبينا ان عامة مافيها وفي امثالها من المقدمات انما هي قضايا سفسطائية قد ألفت من الغاط مجملة متشابهة تشتمل على حق وباطل كما قال الامام أحمد في هؤلاء يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فان لفظ التركيب المعروف في اللغة هم يريدونه لذلك وكذلك لفظ الجزء والافتقار والغير وانما يعنون بلفظ التركيب معاني اصطلحوا على تسميتها تركيبا وهي وعاء الصفات والمقادير فالاول كقولهم الانسان مركب من الحيوان والناطق والانسانية مركبة من الحيوانية والناطقية ومعلوم ان الحيوان والناطق صفتان للانسان والصفة لاتوجد بدون الموصوف وأما تسمية الحيوان والناطق غيرين للانسان فتسمية اصطلاحية أيضا وأما قولهم ان المركب مفتقر الى جزئه فتسمية هذا افتقارا أيضا لفظ اصطلاحي وانما هو ملازم بين هذا الموصوف لايوجد بدون وصفه فهو وهما متلازمان ليس هناك شيء ثابت غير الحيوان والناطق حتى يوصف بانه مفتقر الى الحيوان والناطق بل المقصود ان حقيقة الانسان مستلزمة لان يكون حيوانا ناطقا وقولهم ان جزأه غيره فهو اصطلاح طائفة فان الناس في لفظ الغير اصطلاحين مشهورين أحدهما اصطلاح المعتزلة والكرامية ونحوهم ممن يقول الصفة غير الموصوف وهؤلاء فيهم من ينفي الصفات كالمعتزلة ومنهم من يثبتها كالكرامية وهم يقولون ان الغيرين هما الشيئان أو هما ماجاز العلم باحدهما دون الآخر والثاني اصطلاح أكثر الصفاتية من الاشعرية وغيرهم ان الغيرين ماجاز مفارقة أحدهما الآخر وجودا أو امكانا ومن هؤلاء من يقول بجواز مفارقة أحدهما الآخر ولهذا يقولون ان الصفات لاهي الموصوف ولاهي غيره وكذلك جزء الشيء كالواحد من العشرة والبدن من الانسان قد يقولون فيها ذلك

والاولون يقولون الصفة غير الموصوف وأما حذاق الصفاتية من الكلابية وغيرهم فهم على منهاج الائمة كما ذكره الامام أحمد في الرد على الجهمية لما سألوه عن القرآن أهو الله أم غير الله لا يقولون الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره بل لا يقولون الصفة هي الموصوف ولا يقولون هي غيره فيمتنعون عن الاطلاقين وهذا سديد فان لفظ الغير لما كان فيه اجمال لم يطلق نفيه حتى يتبين المراد فان أريد بانه غير مباين له فليس هو غيره وان أريد أنه ليس هو إياه أو انه يمكن العلم به دونه فنعم هو غيره (وادا فصل المقال زال الاشكال) فاذا قيل ان الصفة أو الجزء غير بأحد الاصطلاحين كان باطلا واذا قيل انها غيره بالاصطلاح الآخر لم يمتنع أن يكون لازما للموصوف وحينئذ فيكون الموصوف مستلزما لصفة لا توجب أن يكون محتاجا الى حقيقة مسماة غيره كافتقار الممكنات الى واجب الوجود والذي علم بصريح العقل ان ما كان واجب الوجود بذاته لا تكون حقيقته محتاجة الى حقيقة أخرى مباينة لذاته لان ذلك يمنع أن يكون واجبا بذاته ولذلك انحصرت قسمة الموجود الى واجب بذاته وممكن بذاته وكان الاعتراف بالموجود الواجب أمرا ضروريا لا يمكن دفعه وليس من الاعتراف به اعتراف بصانع العالم بل فرعون وأمثاله ممن ينكر الخالق تعالى لا يدفع وجود موجود واجب الوجود وانما الشأن في تعيينه فقد يقربه ويزعم انه العالم كما هو حقيقة قول هؤلاء ولهذا لما كان متكلمة الصفاتية أقرب الى الحق الذي جاءت به الرسل كان العالب على عباراتهم نمط الصابئ فانه شبيه بلفظ الرب والخالق ونحو ذلك مما كثر لفظه في الكتاب والسنة ولما كان الاقرب الى الحق نفيهم المعتزلة كان العالب على كلامهم نمط قديم فيقولون القديم والمحدث لانهم أثبتوه بناء على حدوث الاجسام والمحدث لا بد له من محدث (وأما هؤلاء المتفلسفة) فلما كانوا أبعد عن طريقة الرسل كان العالب على كلامهم واجب الوجود ولا ريب ان تقرير دلالة يسهل فان الوجود أمر محسوس مشهود والموجود اما ان يكون من حيث ذاته قابلا للعدم واما ان لا يكون فالثاني هو الواجب والاول اذا كان موجودا فقد يمكن الوجود والعدم وحينئذ فيمتنع ان يكون وجوده من ذاته فانها لا تختص بوجود ولا عدم فلا ترجح له بدون وجوده فلا بد لما لا يقبل العدم من وجود وهو معنى وجوده بنفسه وجوده من ذاته فان [illegible] وجوده [illegible] وإما غيره وإذا كان كل ممكن موجود فله [illegible]

ليس بممكن فهو الواجب فوجود الواجب لازم على التقديرين ضرورة فهذا الوجود الواجب الذي يشهد به هذا البرهان الذي يذكرونه وان تنوعوا في تصويره يمتنع أن يفتقر الى ما هو مباين لذاته فانه حينئذ لا يكون موجودا بنفسه بل به وبذلك الغير فقط وهو خلاف ما دل عليه البرهان من انه لابد من موجود بنفسه لا يتوقف على غيره لان وجوده بنفسه يناقض كونه متوقفا عليه وتوقفه عليه يناقض كونه واجبا بنفسه فيكون واجبا بنفسه لا واجبا بنفسه وهو جمع بين النقيضين ولانه ان كان ذلك الغير واجبا بنفسه كان هو الواجب وكان الاول ممكنا وان كان ذلك الغير ممكنا فهو مفتقر الى الواجب فلو كان كل منهما مفتقرا الى الآخر فالمراد بالافتقار هنا افتقار المعلول الى علته لزم ان يكون كل منهما علة الآخر والمعلول متوقف على علته فيلزم أن يكون كل منهما متوقفا على معلوله التوقف على ذاته فتكون ذاته مستلزمة التقدم على ذاته ومستلزمة التأخر على ذاته وذلك مسلزم كونها موجودة معدومة في الحال الواحد وهو جمع بين النقيضين وهذا هو الدور القبلي وهو ممتنع لذاته وأما الدور المعي وهو كون كل واحد من الشيئين لا يوجد الا مع الآخر فهذا ليس بممتنع وهو دور الشروط مثل الامور المتقارنة فان الابوة لا توجد الا مع البنوة ومعلولا العلة لا يوجد أحدهما الا مع الآخر وأمثال ذلك من الامور المتلازمة فواجب الوجود يمتنع ان يقف وجوده على شيء مباين له توقف المعلول على العلة وأما كون ذاته مستلزمة لصفاته فهذا لا يقتضي أن يكون متوقفا على مباين له توقف المعلول على العلة أكثر ما يقال ان ذاته لا توجد الا مع هذا وهذا لو كان مباينا له منفصلا عنه لم يكن ما ذكروه من اثبات واجب الوجود بما له كيف وهم يزعمون أنه مستلزم لوجود العالم والعالم لازم له لا يمكن مفارقته له فمن يكون وجوده في واجب الوجود بهذا الحال كيف يمتنع أن تكون له صفات تستلزم ذاته وسواء سمي ذلك تركيبا أو سماه لا يدرونه بالعبارات والمعاني التي يقوم الدليل على نفيها واثباتها فكيف والصفات ليست مباينة له لا منفصلة عنه واذا قيل ان حقيقته أو وجوده أو نحو ذلك يتوقف على صفاته أن يعني بالملازمة توقف أحد المتلازمين على الآخر أو توقف الشروط على المشروط وليس توقف معلول على علته فان الواجب الوجود يمتنع ان يكون وجوده معلولا لغيره وكذلك لا يقال في صفاته ان توقف [illegible] وهذا لا ريب فيه وهذا

فسر القائل قوله انه مفتقر الى ذاته بهذا المعنى كان هذا المعنى حقا وان كان في العبارة ما فيها واذا لم يكن هذا ممتنعا بل كان هذا واجبا فاذا قيل هو مفتقر الى ما تجعلونه جزأه أو صفته وكان المراد بذلك استلزام ذاته لذلك وامتناع وجود ذاته بدون ذلك كان هذا أولى بالجواز وأبعد عن الامتناع * وقد بسطنا الكلام على شبه هذه المقامات العظيمة التي تحل شبه هؤلاء وغيرهم في غير هذا الموضع * والمقصود هنا انهم اذا كانوا يقولون بمنع الصفات وغيرها مما هو مستلزم للتعطيل حذرا من هذا المعنى الذي يسمونه تركيبا وليس هو تركيبا ثم يجعلونه جملة العالم التي لها أجزاء حقيقة غيرها وهو مركب منها وكل جزء منها هو الآخر منفصل عنه فمعلوم ان هذا هو التركيب وان كل ما نفوه ونزهوه عنه أثبتوه في ثاني الحال على أقبح الوجوه مع التعطيل المحض ولهذا كانوا يرون الجمع بين كل نفي وسلبه وان استلزم التعطيل وبين كل تشبيه وتمثيل ويرون ذلك هو الكمال ومعلوم ان ذلك مع ما فيه من الكفر من الجانبين فهو مشتمل على الجمع بين النقيضين من وجوه لا تحصى وهو حقيقة مذهب القوم وهم يصرحون بذلك ثم من المعلوم ان نفس احياء العالم يشاهد عدمه بعد الوجود ووجوده بعد العدم كصور الحيوان والنبات والمعدن وانواع من الاعراض وهذا معلوم بالحس انه ليس واجب الوجود بل هو ممكن الوجود لقبوله العدم وما كان واجب الوجود لذاته لا يقبل العدم اذ لو قبل العدم لكان ممكن الوجود وممكن العدم وهذا ليس واجب الوجود بذاته واذا كانت هذه الاحياء التي شوهد عدمها يمتنع انصافها بوجوب الوجود لم يمكن ان يقال ان الكل واجب الوجود بل أكثر ما يقول هذا النصري ما تقوله المعطلة الدهرية ان منه ما هو واجب الوجود ومنه ما ليس واجب الوجود وان واجب الوجود هو الافلاك مثلا أو العناصر أو العقول والنفوس مع ذلك وهذا وان كان هذا القول يؤدي تعطيل الصانع وهو غاية الكفر باتفاق كل ذي عقل ودين فمعلوم انه أمثل من قول ان كل العالم هو واجب الوجود (وهذا الطائفة تدعي التحقيق) والعرفان ويكون قولها أقبح وأعظم كفرا وضلالا من قول أكفر الخلق بالرحمن * ولولا ان في هؤلاء القوم من يظن به تعظيم الله وتنزيهه لله ومعرفته لله وتوحيده لله الذي يقوله تعظيم للحق لكانوا أكفر من هؤلاء من كل وجه لكن أحوال منهم قطعا تترجح هؤلاء كالكل المقسم الى مراتبه فيجعلونه لوجود أو الوجود المطلق المعلوم ثبوته في الخارج ولا يريدون لا هذا ولا هذا من أن يكون هو عين الاشياء الثابتة في الخارج

قد اتفقوا على انه لا يوجد في الخارج وأما المطلق لا بشرط فقد غلط فيه بعضهم كالرازي وادعى وجوده في الخارج وانه جزء من المعين والجمهور يعلمون ان ما يوجد في الخارج ليس الا معينا ليس مطلقا ﴿وابن سبعين﴾ يجعله تارة في كلامه الكلي واجزائه وتارة يجعله الكلي الذي هو الوجود فلا يكون له وجود في الخارج بحال ولكن كلامه يقتضي انه يجعل الكل المطلق موجودا في العين على القول الضعيف واذا تنزلنا معه على هذا التقدير يكون الرب تعالى عندهم جزأ من كل موجود مخلوق فهم بين ان يجعلوه جملة المخلوقات أو جزأ من كل مخلوق أو صفة لكل مخلوق أو يجعلونه عدما محضا لا وجود له الا في الاذهان لا في الاعيان* ثم هم مع التعطيل الصريح والالحاد القبيح يتناقضون ولا يثبتون على مقام ولهذا رأيت كلامهم مضطربا لا ينضبط لما فيه من التناقض ولكن لما كنت أبينه وأوضحه أذكر القواعد العلمية التي يعرف الناس حقيقة ما يمكن حمل كلامهم عليه وميزت بين قول هذا وقول هذا وبينت ما فيه من التناقض حتى اطلع الناس على ما هم فيه من الكفر والهذيان مع دعواهم التحقيق والعرفان وتعظيم الناس لهم وهيبتهم لهم وظنهم أنهم من كبار أولياء الله العارفين وسادات المحققين وانما هم بالنسبة الى هؤلاء كالمتنسبين الى الأئمة الصادقين ﴿كابن سبعين﴾ ودونه لا وصف له لعدم سوى الثبوت بناء على أصلهم الفاسد وهو ان الوجود من حيث هو وجود مع قطع النظر عن الموجود الواجب والممكن هو ثابت وقد خاطبني في ذلك أفضل هؤلاء فقلت له الوجود من حيث هو وجود لا حقيقة له في الخارج وانما هو أمر يقدره العقل كالانسان من حيث هو انسان والحيوان من حيث هو حيوان والجسم من حيث هو جسم وأمثال ذلك فان الخارج لا يوجد فيه شيء الا معينا متميزا عما سواه لا يوجد فيه حقيقة من الحقائق من حيث هي هي مجردة عن كل تعين وتميز وهذا الموضع الذي هو أصل ضلال هؤلاء قد سبقهم اليه طوائف من أهل الفلسفة والكلام وهؤلاء حذوا حذوهم وزادوا عليهم بظن أولئك ان المطلق يكون موجودا في الخارج ثابتا في الاعيان المقيدة الخاصة وهو الذي يسمونه الكلي الطبيعي ويجعلونه موجودا في الخارج كالانسان بلا قيد ولا شرط والحيوان بلا قيد ولا شرط والوجود بلا قيد ولا شرط ولا ريب ان الفرق بين المطلق لا بشرط وبين المطلق بشرط الاطلاق فرق معقول فان المطلق بشرط الاطلاق ضد المقيد لا يتناول المقيد بحال ولهذا اتفقوا على ان هذا لا يكون

وجودة الا في الذهن وأما المطلق لا بشرط فهم يسلمون أيضا انه لا يوجد الا مقيدا إما بقيد كونه في الذهن أو في الخارج وبقيد كونه واحدا أو كثيرا ونحو ذلك ولكن كثيرا من أئمتهم يدعون انه يوجد في الأعيان كما اتفق الناس على انه يوجد في الاذهان مع ان حقيقته من حيث هي هي ليست مقيدة بقيد كونها في الاذهان أو في الاعيان مع انها لن تخلو عن أحدهما ففرق بين ماهو داخل في الحقيقة وبين ماهو لازم لها كما ان من هؤلاء من ادعى ثبوت هذه الحقائق مجردة عن الاعيان كما يقوله أصحاب المثل الافلاطونية وقولهم باثبات هذه الماهيات المطلقة مع قول فريق منهم بانفصالها عن الاعيان هو شبيه بقولهم باثبات المادة الطبيعية جوهرا مجردا ثابتا في الجسم عن صورته مع قول فريق منهم بامكان انفصال هذه المادة عن الصور جميعها (وقد بسطنا القول) في هذا وذكرنا الفاظ أئمتهم في هذا وبيانا وقع في ذلك من الغلط البين المبين لكل عاقل يفهم ما يقال بيانا يقينيا ضروريا وذكرنا الصواب الذي عليه جمهور العقلاء بأنه ليس في الاعيان الموجودة في الخارج شيء مطلق أصلا بحال وانه انما هو عين من الاعيان أشير اليها فقيل هذا الانسان فانه يعلم بالحس والعقل انه ليس فيه شيء مشترك بينه وبين غيره ولا شيء مطلق سواء قيل مطلق لا بشرط أو مطلق بشرط الاطلاق وتكلمنا على ما يذكرونه من هذه الموارد واللواحق والاعراض حواشي عربية عرضت للحقيقة وانها خرجت عن الحقيقة (وبسطنا الكلام) في ذلك بسطا تبين به أنه اشتبه على القوم ما يكون في الذهن والخيال مما يكون في الوجود والخارج فظنوا ما يتخيلونه في أنفسهم من هذه الحقائق كالموجود المطلق والانسان المطلق موجودا في الخارج فهم الى الوهم والخيال الذي ليس بمطابق للحقائق مع كونهم قد ينكرون ما كان من الوهم والخيال حقا مطابقا للخارج . كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وقول هؤلاء باثبات الماهيات المطلقة المجردة وبالمواد المجردة واثباتهما في الأعيان هو شبيه بقول من يثبت الأحوال ثابتة في الاعيان وقول من يجعل لكل معين من الموجودات ماهية ثابتة في العدم ويجعل الماهيات غير مجعولة وهؤلاء يقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته ولكن يريد بالماهية الماهية الشخصية التي لا تكون لغيره كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزاعمة وأولئك يقولون نحو ذلك لكن يقولون باثبات الماهية النوعية الكلية وكل هذه الامور انما هي ثابتة في الاذهان لا في الاعيان وان كان بعضهم ينكر على غيره أشد الانكار

To: www.al-mostafa.com

قوله الذى قال ماهو نظيره أو أبلغ منه أو هو هو فى الحقيقة كما ينكر طائفة من متكلمى الصفاتية القائلين بالاحوال كالقاضى أبى بكر والقاضي أبي يعلي على من يقول المعدوم شيء حتى يكفروه بذلك وقولهم باثبات الأحوال هو من نمط قولهم حيث يقرون باثبات ثابت لا موجود ولا معدوم وكما تنكر الفلاسفة على من يقول بالاحوال وبأن المعدوم شيء فقولهم باثبات الماهيات المطلقة فى الأعيان مع قولهم باثبات المواد للجسم وتركب الجسم من جوهرين مادة وصورة هو مع كونه من نمط هذا القول فهو ان لم يكن أبعد منه فليس دونه في الضعف اذ جعله حقيقة مطلقة لا تقيد ثابتة في شيء مقيد وحاصلة له مع ان تلك تنقسم الى واحد وكثير وهذا لا ينقسم ان هذا من العجب فهل يحمل مورد التقسيم جزأ من القسمين ثابتا في الاعيان وهل هذا الا تسوية بين قسمه الكلى الى جزئياته والكلى الى أجزائه مع انهم يفرقون بينهما وغاية ما قد يجيبون به عن هذا ان يقولوا المطلق من حيث هو لا يوصف لا بكلى ولا بثابت فلا يقال هو واحد ولا كثير ولا ينقسم ولا لا ينقسم ونحو ذلك مع أن محققيهم كابن سينا يقول انه لا يوجد الا موجودا في الاعيان أو في الذهن وعلى هذا فيكون الوجود المطلق لا يوجد الا في الاعيان الموجودة فلو كان وجود الرب هو المطلق لزم أن يكون جزء من أعيان المخلوقات مع انه يلزمهم أن يكون ثابتا فى الوجود الواجب والوجود الممكن مثلا يكون هو واجب الوجود وهذا تنقيص كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع (ومعلوم أن هذا الجواب) لم يقصد فيه بيان هذه المسائل تصويرا وتحريرا وتقريرا وانما يقصد فيه الكلام على السكات التى صال بها هؤلاء الذين يدّعون أنهم المتصلون العالمون وأكمل الناس وهم فى الحقيقة يندرجون فى قوله تعالى (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وفي قوله تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) وكذلك على هذا ذلك وهو الوجود فى كل موجود وشيء مع كل شيء وانما كان هذا الكلام شبيها بقول من يجعل الوجود زائدا على الشيء وهو ما ذكره الرازى عن بعض من هو أعلم منه لكن قول ابن عربى شر من قول الملحد المتزلف والرافضة [illegible] قول طائفة الذين يقولون ان الماهيات الكلية

المطلقة ثابتة في الأعيان وما تقدم في ذلك اللوح بخالف قول ابن عربي كما تقدم وهو في هذا اللوح جعله بمنزلة الصورة ووجود الماهية وهناك جعله بمنزلة المادة المصورة ولهذا قال وهو مع كل شيء ومتى سري لذلك الشيء حكم فمنه لا من ذلك الشيء للشيء ليس هو إياه ثم قال فله في ذلك الحكم إيجاده وللشيء منه الشبه فقط لأنه في الماء ماء وفي النار نار وفي الحلو حلو وفي المرّ مرّ فجعله وجود الذوات ومعلوم ان من قال الماهيات الكلية ثابتة في الاعيان أو من قال ان وجود كل شيء زائد على ماهيته يقول ان الماهية المطلقة المعينة والماهية المشخصة منه وجودها ولهذا قال هو في الماء ماء وفي النار نار وهذا من جنس قول ابن عربي وهو متضمن أصلين فاسدين * أحدهما ان في الماء والنار والحلو والمرّ حقيقتين احداهما وجودهما والثاني ذاتهما المغايرة لوجودهما سواء قيل هي ماهية معينة أو مطلقة وهذا وان كان باطلا فهو قول مشهور لطوائف من المعتزلة والرافضة ولطوائف من الفلاسفة * والثاني أن الله هو ماء في الماء وهو نار في النار وهو حلو في الحلو ومرّ في المرّ اد هو عنده نفس وجود الموجودات وهذا من أبطل الباطل وأعظم الكفر والضلال ثم ضرب لذلك مثلا فاسدا فقال مثال ذلك هو مع السراج نور بصورته فتسرج منه سرج كثيرة شبيهة به والايجاد لس هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولو كانت السرج التي أوقدت من السراج من ماهيته هو لغيب مادته بايقاد جملة من السرج وكان يظهر فيه الضعف قليلا قليلا حتى يفنى وانما الاستمداد من الأمر الذي هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولا صورة له اذ لو قيدته صورة لما لم يكن مع كل شيء الا معها فقط تعالى وتقدس هو الوجود كله ولا وجود لشيء الا لعلاقته به فذكر أن الامداد من وجود السراج لا من ماهيته وانما هو وجود السراج وهو مع الماهية بصورة الماهية والفرق بين وجود السراج وماهيته باطل وأما قوله لو كانت تلك السرج من ماهيته لغيبت فيقال له وكذلك لو كانت من وجوده لو قدر هناك وجود غير ماهيته فكيف وليس هناك شيء الا السراج المحسوس وهو حقيقة السراج وذاته وماهيته في الخارج وما لزم من الامداد من ماهيته ومن وجوده ان قدر انهما سببان فانما قيل لأن وجوده هو الوجود الذي به يصير لا يكون هي الدليل وأنت ذكرت قدرا زائدا على الاستمداد من وجوده لا من ماهيته وجوده ثم تلك اذا قيل أوقدت منه السرج من هذه السرج التي [illegible] والاول باطل فان السرج لم تزل [illegible]

من ذاته شيء أصلا ولو كانت للتعيض للزم أن يزول بعض الوجود والماهية ان قيل بالفرق بينهما وأما الثاني اذا قيل هي لابتداء الغاية فهذا لا محذور فيه سواء قيل ان الايقاد من ماهية السراج أو من وجوده أو منهما ان فرق بينهما أو قيل انما هنالك شيء واحد والايقاد منه كما هو قول أهل الحق وذلك ان ذبالة المصباح بتقريبها الى السراج ومجاورتها له يحدث الله فيها ذلك النور من غير أن ينقص من ذلك النور الاول شيء ولهذا يشبهون العلم بهذا فيقولون كل أحد يستفيد من علم العالم من غير أن ينقص منه شيء بل المتعلم يجعل الله في نفسه نظير ما في نفس المعلم من غير أن ينقص ما في نفس المعلم وكذلك يجعل الله في رأس الذبالة من النور من جنس ما في الذباله الأولى وتكبر وتصير وتقوى وتضعف بحسب ذلك وسواء كان هذا هو الهواء المحيط استحال نارا كما قد تستحيل النار هواء أو غير ذلك فليس هو شيء نقص من الاول فبطل تمثيله هذا وهو يزعم الفلسفة والمتفلسفة تعلم ذلك وتقول ان الهواء استحال نارا ومن هنا نظير من في قوله تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) وقوله (وما بكم من نعمة فمن الله) وقوله (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وقوله إنما الاستمداد من الأمر الذي مع كل شيء لصورة ذلك الشيء ولا صورة فهو يقتضي ثبوت شيئين وجود وشيء والحق ان الاستمداد انه ليس هنالك الا شيء واحد وبكل حال فالاستمداد من خالق ذلك الشيء وربه ومليكه الذي ليس هو اياه بوجه من الوجوه بل هو ربه وخالقه ومليكه وليس الله مع كل شيء لصورة ذلك الشيء أصلا تعالى الله عن ذلك ومن العجب ان هؤلاء يفرون بزعمهم من التشبيه والتجسيم وقد صنف ابن سمعون في ذلك ورد فيه على بعض من كان ينكر عليه من شيوخ أهل مكة ثم ذهب الى غير ذلك ثم يزعمون انه يشبهه كل شيء بعضه ربه وانه جزء من كل جسم فلم يجعلوه جسما تاما بل جزء جسم كما قد جعلوه في كل موضع آخر وجود كل جسم وانه لم يكن للجسم الجزء الذي أثبتوه وجعلوه سببا للجزء والحيوان والنبات بل هو عين وجود الجماد والحيوان والنبات ثم قال هو الوجود كله ولا وجود لشيء منه الا اياه به أثبت علمه بأنت به ناسب من حيث تغايره وعلمه اياه بهو الذي يظهر به من حيث ما هو عين به هو أن لا يرى وأنت الذي من حيث ما هو صورة في العلم لا من حيث ما هو ما يتصور كان الاشياء التي جعلها وجوده

ووجودها عين الحق هي علم الحق وليس هذا قول أهل السنة الذين يقولون ان الاشياء ثابتة في علم الله قبل وجودها ليست ثابتة في الخارج فان هؤلاء لا يقولون ان الاشياء الموجودة عين علمه ولا يقولون ان الاشياء المحسوسة بعد وجودها هي كما كانت في العلم بل يقولون ان الله علمها وقدرها قبل أن تكون والمخلوق قد يعلم أشياء قبل أن تكون كما نعلم نحن ما وصف لنا من اشراط الساعة وصفة القيامة وغير ذلك قبل أن يكون ومن المعلوم أن علمنا بذلك ليس هو من جنس الحقيقة الموجودة في الخارج فانا اذا علمنا الماء والنار لم يكن في قلوبنا ماء ونار ولكن علمه بذلك يطابقه مطابقة العلم المعلوم ثم اللفظ يطابق العلم مطابقة اللفظ المعنى ثم الخط يطابق اللفظ وهذه المراتب الاربعة المشهودة هي الوجود العيني والعلمي واللفظي والرسمي وجود في الاعيان وفي الاذهان وفي اللسان وفي البنان وقد تشبه هذه المطابقة مطابقة الصورة التي في المرآة للوجه ومطابقة النقش الذي في الشمعة والطين لنقش الخاتم الذي يطبع ذلك له وليس هو أيضا قول من يقول ان المعدوم شيء ثابت في الخارج مستغن عن الله فانه قد قال وأنت لا به لا شيء وهذا يخالف فيه ابن عربي والصواب معه فيه وان كان أضل من وجه آخر بل قوله لون آخر فانه جعل علمه بالاشياء عين الاشياء اذ جعل لا وجود معه الا لعلمه بذلك الشيء وجعل نفس الاشياء علمه ولهذا أثبت التغاير من وجه وعدمه من وجه وقال فانت به ثابت من حيثية متغايرة ومن حيثية أن علمه عين ذاته وهذا الثاني يشبه قول الفلاسفة الذين يقولون انه عاقل ومعقول وعقل وان ذلك واحد ويقال ان أبا الهذيل العلاف يقرب الى مذهبهم وفساد هذا القول معلوم قد بسط في غير هذا الموضع لكن هو لما ألزمه ان يكون وجود الاشياء غير ماهيتها وهو عدمهم عين وجود الاشياء ولا بد من اثبات مغايرة الاشياء واستقبح أن يجعل الاشياء ثابتة في الاعيان جعلها عين علمه فوقع في شر مما فر منه حيث جعل نفس الاشياء الثابتة في الخارج عين علمه وهذا من جنس قوله إنه عين وجود الاشياء وهو في الحقيقة تعطيل لنفسه ولعلمه اذ جعل وجوده وجود الاشياء وعلمه هو الاشياء ثم يقول ان علمه عين ذاته فهذه الاثة عظائم ثم دل على غيره في كل شيء من كل شيء الا الصورة المعينة التي في صورة أصلا ولم تكن فيما تتحلل له في غير المغاير الذي يغاير وجوده حتى يتحقق له في الصورة التي تغايرها فيه وهذا وان كان من أبعد الناس عن [illegible] الله

وأي معرفة لمن يعرفون المطلق مقيدا بصورة ما فهذا الى الجهل أقرب منه الى العلم فسير ان بركة الايمان وسعادته شملته فتنعم في الجنة من وراء غيب الايمان ويشفع له النبي صلى الله عليه وسلم الذي صدقه فرفعت له الحجب وقاما فتنعم بالمشاهدة حسب حاله وعلى قدر نصيبه من رسوخه في الايمان وأخذه بنصيبه من مقام الاحسان فاذا هو كأنه يراه لا أنه يراه وأين هذا المقام من مقام من رآه فعرفه في كل شيء عين كل شيء سوى تقييد الشيء وتعيينه بانه هذا . لا تجوز اليه الاشارة لانه لم تقيده صورة قط فمن عرفه كما قلناه ورآه في كل شيء لم يأسه قط ولم يسحب عليه من عتاب الآية شيء وهي قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) حاشاهم من ذلك بل ذكروه دائما بذكرهم ورأوه في كل شيء مشاهدهم لذلك وشهدلهم بالكمال ﴿قلت﴾ وهذا الكلام الذي ذكره من تجليه تارة في غير الصورة التي يعرفها المتجلى له حتى يتعوذ منه وما ذكره من ارهاده الحال بقصة أخذه من كلام ابن عربي وابن عربي صحيح في ذلك بالحديث المأثور في ذلك فان ابن عربي كان أعلم بالحديث والتصوف من هذا وان كان كلاهما من أبعد الناس عن معرفة الحديث والتصوف المشروع بل هما أقل الناس معرفة بالكتاب والسنة وآثار سلف الامة (وابن سبعين) أعلم بالمسلمة من ابن عربي . وأما الكلام فكلاهما يأخذه من مشكاة واحدة من مشكاة صاحب الارشاد واتباعه كالراري فان ابن عربي ذكر في أول الفتوحات المكية عقائد ورمز الى الرابعة وذكر العقيدة التي في كلام صاحب الارشاد مجردة ثم ذكرها مع الدليل الكلامي الذي ذكره ثم انتقل الى عقيدة فلسفية أبعد من اعتقاد أهل الاثبات ثم رمز الى هذا التوحيد الذي أفصح به في الفصوص وعاد مولعا الى تحقيق التعطيل الذي هو حقيقة قول فرعون وكان علمهم الكلام المتكلمة والمتفلسفة من كلام الراري في المحصل وغيره وهو يذكر أن ذلك حصل له بالكشف حتى كان القاضي بهاء الدين بن الزكي يذكر انه كان يقع بينه وبين والده مباحثة في كلام الدقيقي والده من الملازمين لامره حتى حدثني محيي الدين بن المصري وكان من أخص أصحابه انه قال في معرض كلام له أفضل الخلق بعدي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وحمزة وحمزة وحسن وحسين ومحيي الدين بن عربي وكان يقول ان كلامه حصل له على طريق الكشف وقال لي حدثت نفسي مرة من الخواطر رجعية حدثت بها أبي والدي وقلت نسح [illegible] شدة [illegible] معرفة [illegible] كان [illegible] بها بخطه أو كلاما نحو هذا

(وأما ابن سبعين) فأصل مادته من كلام صاحب الارشاد وان أظهر تنقصه ونحوه من الكلام ومن كلام ابن رشد الحفيد ويبالغ في تعظيم ابن الصائغ الشهير بابن باجة وذويه في الفلسفة وسلك طريقة الشودية في التحقيق وأخذ من كلام ابن عربي وسلك طريقا في تحقيقهم مغايرة لطريق غيره وان كان مشاركا لهم في الاكثر وهما وأمثالهما يستمدان كثيرا مما سلكه أبو حامد في التصوف المخلوط بالفلسفة ولعل هذا من أقوى الاسباب في سلوكهم هذا الطريق * وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في الارشاد والشامل ونحوهما مضموما الى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ونحو ذلك وضم الى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه * وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر * وشيخه في أصول الفقه يميل الى مذهب الشافعي وطريقة الفقهاء التي هي أصوب من طريقة الواقفة (ومادة أبي حامد) في الفلسفة من كلام ابن سينا ولهذا يقال أبو حامد أمرضه الشفاء ومن كلام أصحاب رسائل الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك * وأما في التصوف وهو أجل علومه وبه نبل فاكثر مادته من كلام الشيخ أبي طالب المكي الذي يذكره في المحبات في الصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والاخلاص فان عامته مأخوذه من كلام أبي طالب لكن كان أبو طالب أشد وأعلى * وما يذكره في ربع المهلكات فأخذ عامته من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية كالذي يذكره في ذم الحسد والعجب والكبر والرياء والكبر ونحو ذلك . وأما شيخه أبو المعالي فمادته الكلامية أكثر من كلام القاضي أبي بكر ونحوه واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي على مختارات له وكان قد سبر الكلام على أبي قاسم الاسكاف عن أبي اسحاق الاسفرائيني ولكن القاضي هو عندهم أولى ولقد خرج عن طريقة القاضي ودربه في مواضع الى طريقة المعتزلة * وأما كلام أبي الحسن نفسه فلم يكن يستمد منه وانما نقل كلامه مما يحكيه عنه الناس . والرازي مادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني عن الشيرازي أخذه عن الانصاري النيسابوري عن أبي المعالي وله مادة قوية من كلام أبي الحسن البصري رسالة طريقته في أصول الفقه كثيرا وهي أقرب الى طريقة الفقهاء من طريقة المتكلمين وفي مسائله عنه من كلام القاضي والشهرستاني أيضا وبحوثه [illegible]

في كلام هذا وأبي حامد ونحوهما من الفلسفة مالا يوجد في كلام أبي المعالي ودونه ويوجد في كلام هذا وأبي المعالي وأبي حامد من مذهب النفاة المعتزلة مالا يوجد في كلام أبي الحسن الاشعري وقدماء اصحابه ويوجد في كلام أبي الحسن من النفي الذي اخذه من المعتزلة مالا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي اخذه أبو الحسن طريقه ويوجد في ابن كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة مالا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والائمة واذا كان الغلط شيرا صار في الاتباع ذراعا ثم باعا حتى آل هذا المآل فالسعيد من لزم السنه

﴿ فصل ﴾ ومن تدبر الحديث والفاظه علم أنه حجة على هؤلاء الاتحادية الجهمية لا لهم وأنه مبطل لمذهبهم مع أنهم يجعلونه عمدتهم في دعواهم ظهوره في كل صورة من الصور المشهودة في الدنيا والآخرة حتى في الحادات والقادورات (والحديث) مستفيض بل متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل فيه قواعد من أمور الايمان بالله وباليوم الآخر * أخرجاه في الصحيحين من غير وجه من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن زيد عن أبي هريرة وأبي سعيد * وأخرجاه أيضا من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد * ورواه مسلم عن جابر موقوفا كالمرفوع وهو معروف من حديث ابن مسعود وغيره وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة إن اناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الله الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف

الناس بأعمالهم فمنهم الموثق بعمله ومنهم المخردل أو الجاثي حتى يعجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد أن يرحمه ممن كان يقول لا إله الا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار ابن آدم الا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون وفي لفظ البخاري كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الى الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فانه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها يدعو الله ماشاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت ان فعلت ذلك بك أن تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ماشاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني الى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب ويدعو الله حتى يقول له فهل عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة فاذا قام على باب الجنة انبهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ماشاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا زال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فاذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فاذا دخلها قال الله له تمنه فيسأل ربه ويتمنى حتى ان الله ليذكره من كذا ومن كذا حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله ذلك لك ومثله معه قال عطاء بن زيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى اذا حدث أبو هريرة ان الله قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت الا قوله ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة وهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض معروف من حديث ابن شهاب الزهري أخطأ الناس فيه

في زمانه كان عنده عن سعيد بن المسيب أفضل التابعين وعن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة فكان تارة يحدث به عنهما وتارة عن أحدهما كما هو عادة الزهري في أحاديث كثيرة وهذا الذي ذكرنا رواية ابراهيم بن سعيد عنه عن عطاء بن يزيد ومنه رواه مسلم كما ذكر وعطف عليه رواية شعيب عنه عن سعيد بن المسيب وعطاء قال وساق الحديث بمثل معنى حديث ابراهيم وأما البخاري فرواه من حديث شعيب عن الزهري عنهما مرتين ورواه من حديث ابراهيم ابن سعيد أيضا الذي ساقه له مسلم ورواه من حديث معمر أيضا عن الزهري عن عطاء *وفي الصحيحين أيضا من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب قالوا لا يارسول الله قال وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدا فماذا تبغون قالوا عطشنا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال ما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة

واحدة كلما أراد أن يستخرج منها شيئا خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقول اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركبان فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه نصف دينار فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فاخرجوا من وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم (ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر مايكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل فيكون أبيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله تعالى الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون يارب أى شئ أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهذا سياق مسلم من حديث حفص بن ميسرة عن زيد ابن أسلم ثم اتبعه برواية الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن

أسلم قال نحو حديث حفص بن ميسرة وزاد بعد قوله بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه قال أبو سعيد بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف وليس في حديث الليث فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ثم رواه من حديث هشام بن سعد قال حدثنا زيد بن أسلم نحو حديث حفص وزاد ونقص شيئا * وأخرجه البخاري من حديث زيد أيضا وفي صحيح مسلم من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يسأل عن الورود فقال نجيء نحن يوم القيامة على كذا وكذا فقلت صوابه على تل كما جاء مفسرا أظن ان ذلك فوق الناس قال فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الاول فالاول ثم يأتي ربنا بعد ذلك فيقول ما تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى نظر اليك فتجلى لهم يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل انسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه وعلى حسر جهنم كلاليب أو حسك تأخذ من شاء الله ثم يطفئ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يرى شعيرة فيجعلونه بفناء الجنة ويجعلون أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل وتذهب حراقة ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها (وهذه الأحاديث ونحوها) اعتمدها هؤلاء الجهمية الاتحادية في قولهم ان الله يظهر في الصور كلها ويجعلونه ظاهرا في كل صورة من حيوان ونبات ومعدن وغير ذلك اذ هو الوجود كله عندهم وعندهم ان ذاته لا ترى بحال كما قال صاحب الفصوص في الحكمة اليأسية قال العقل اذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله على التنزيه لا على التشبيه واذا أعطاه الله المعرفة بالتجلي كانت معرفته بالله عنده في موضع وشبه في موضع فرآه سريان الحق الصور الطبيعية العنصرية وما بقيت له صورة الا ويرى عين الحق عينها وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله وحكمت بهذه المعرفة الاوهام كلها ولذلك الاوهام أقوى سلطانا منها في هذه النشأة من العقول لأن العاقل لو بلغ ما بلغ في عقله لم يخل عن حكم الوهم عليه والتصور وما عقل عاقل هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الانسانية وبها جاءت الشرائع المنزلة فشبهت ونزهت شبهت في التنزيه بالوهم ونزهت في التشبيه

بالعقل فارتبط المكلف بالمكلف فلم يتمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه ولا تشبيه عن تنزيه قال تعالى (ليس كمثله شئ) فنزه (وهو السميع البصير) فشبه وهي أعظم آية أنزلت في التنزيه ومع ذلك لم تخل من تشبيه بالمكان وهو أعلم العلماء بنفسه وما عبر عن نفسه الا بما ذكرناه ثم قال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وما يصفونه الا بما تعطيه عقولهم فنزه نفسه عن تنزيههم إذ حددوه بذلك التنزيه وذلك لقصور العقول عن ادراك مثل هذا ثم جاءت الشرائع كلها بما تحكم به الاوهام فلم يحل الحق عن صفة يظهر فيها كذا تالت وبذا جاءت الرسل فعملت الامم على ذلك فأعطاها الحق التجلي فلحقت بالرسل ورائة فنطقت بما نطقت به رسل الله وبعد أن تتصور هذا فترخي الستور وتدلى الحجاب على عين المنتقد والمعتقد والصور وان كانت من بعض صور ما تجلى فيها الحق ولكن قد أمرنا بالستر ليظهر تفاصل استعداد الصور وان المتجلي في صور بحكم استعداد تلك الصورة فينسب اليه ما تعطيه حقيقتها ولوازمها لا بد من ذلك الى أن قال قال الله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) اذ لا يكون مجيبا الا اذا كان من يدعوه وان كان عين الداعي عين المجيب فلا خلاف في اختلاف الصور فهما صورتان بلا مثل وتلك الصور كلها كالأعضاء لزيد فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة مشخصة وأن يده ليست صورة رجله ولا رأسه ولا عينه ولا حاجبه فهذا تكثير الواحد المكثر بالصور الواحد بالعين وكالانسان واحد بالعين فلا شك أن عمرا ما هو زيد ولا خالد ولا جعفر وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تتناهى وجودا فهو وان كان واحدا بالعين فهو كثير بالصورة والاشخاص وقد علمت قطعا ان كنت مؤمنا ان الحق عينه يتجلى في القيامة في صورة فيعرف ثم يتحول في صورة فينكر ثم يتحول عنها في صورة فيعرف وهو هو المتجلي وليس غيره في كل صورة ومعلوم ان هذه الصورة ما هي تلك الصورة الاخرى وان كانت العين واحدة فانت مقام المرآة فاذا نظر الناظر فيها الى صورة معتقد في الله عرفه فأقربه واذا اتفق أن يرى فيها معتقد غيره أنكره كما يرى في المرآة صورة نفسه وصورة غيره فالمرآة عين واحدة والصور كثيرة في عين الرائي * وهذا الحديث يبين فساد مذهبهم بعد ما توهموه من وجوه * أحدها ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يرون ربهم يوم القيامة ولم يسألوه عن رؤيته في الدنيا فان هذا كان معلوما عندهم انهم لا يرونه في الدنيا وقد أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه منها ما رواه

مسلم في صحيحه من حديث يونس وصالح عن ابن شهاب ان سالم بن عبد الله أخبره ان عبد الله بن عمر أخبره ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد أتشهد اني رسول الله فنظر اليه ابن صياد فقال أشهد انك رسول الاميين فقال ابن صياد لرسول الله أتشهد اني رسول الله فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آمنت بالله وبرسله ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ترى قال ابن صياد يأتيني صادق وكاذب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد خبأت لك خبأ فقال ابن صياد هو الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذرني يارسول الله أضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله وقال سالم بن عبد الله سمعت عبد الله بن عمر يقول انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب الى النخل التي فيها ابن صياد حتى اذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يحتل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها رمزمة فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد يا صاف وهو اسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين قال سالم قال عبد الله بن عمر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وأن الله ليس باعور قال ابن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الانصاري انه أخبره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حدر الناس الدجال انه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله أو يتربه كل مؤمن وقال تعلمون انه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت وقد روى هذا المعنى من وجوه أخر عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن الى

صلى الله عليه وسلم بين ماقبل الموت وما بعده وأخبر انه لن يراه أحد قبل الممات في سياق بيانه لهم أن الدجال ليس هو الله كما ذكر لهم انه أعور وان ربهم ليس بأعور وذكر لهم مع ذلك انهم لا يرون ربهم في الدنيا ليعلموا ان كل ما يرى في الدنيا ليس هو الله وهذا يدفع قول بعض الجهال المتفرطة من هؤلاء انه لن يري ربه حتى يموت أي تموت نفسه وهواه فان هذا وان لم يكن هو مدلول اللفظ ولا يحتمله مثل هذا اللفظ فلو كان حقا لم يصح ان يكون دليلا لهم على ان الدجال ليس هو ربهم فانه اذا جوز عند موت هوى النفس ان يرى بعينه الله لم يصح حينئذ ان ينفي عن كل مرئي بالعين في الدنيا انه الله * واعلم ان الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وأهل السنة من جميع الطوائف متفقون على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة عيانا كما يرون الشمس والقمر كما تواترت بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومتفقون على أنه لا يراه أحد بعينه في الدنيا كما ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن حنبل عن اسحاق بن حنبل قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول ان الله لا يري في الدنيا ويرى في الآخرة ثبت في القرآن والسنة وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وأما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وتنازع عائشة وابن عباس فقد بسطنا الكلام فيه في غير هذا الموضع (وبينا ان الثابت) عن ابن عباس ثم عن الامام احمد هو شيء واحد وهو إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وأما التقييد بانه رآه بعينه فلم يثبت لا عن ابن عباس ولا عن أحمد بن حنبل ونحوهما (وأما) الاحاديث التي يرويها بعض الناس في أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بالطواف أو بعرفة أو في بعض سكك المدينة فكلها كذب موضوعة باتفاق أهل العلم * وتنازع المتأخرون المنتسبون الى السنة في الكفار هل يحجبون عنه في الآخرة مطلقا أو يرونه ثم يحجبون على ثلاثة أقوال * فقال طوائف من أهل الكلام والفقه وغيرهم من أصحاب مالك لا يرونه بحال * وقالت طائفة منهم أبو الحسن بن سالم وغيره بل يرونه ثم يحجب عنهم كما يدل على ذلك أحاديث معروفة * وقال أبو بكر بن خزيمة بل يراه المنافقون من هذه الامة دون غيرهم * وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع * وأما من سوى أهل السنة فلهم قولان متطرفان * أحدهما وهو قول الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم أنه لا يرى بحال بل رؤيته ممتنعة عندهم * والثاني قول بعض المتكلمين وبعض جهال الصوفية أنه يرى في الدنيا وقد ذكر ذلك أبو طالب المكي عن بعض الصوفية ورد عليه

وكذلك حكاه الاشعري في المقالات عن طائفة منهم ومن الناس من يجعل للاشعري نفسه في هذه المسألة قولين وبعض أصحابه جوز وقوع ذلك وليس النزاع في امكان ذلك وقدرة الله عليه فان هذا لانزاع فيه بين مثبتي الرؤية وانما النزاع هل يقع ذلك في الدنيا فمن أصحابه من يسوغ وقوعه بحسب ماتدعو اليه الدواعي وقد يحصل ذلك لبعض الناس وهذا باطل مخالف للنصوص ولاجماع السلف والائمة بل نفاة الرؤية مع كونهم مبطلين أجل من هؤلاء وهؤلاء أقرب الى الشرك منهم (وأما) هؤلاء الاتحادية فهم يجمعون بين النفي العام والاثبات العام فيعدم أن ذاته لايمكن أن ترى بحال وليس لها اسم ولاصفة ولانعت اذهو الوجود المطلق الذي لايتعين وهو من هذه الجهة لايرى ولا اسم له ويقولون انه يظهر في الصور كلها وهذا عندهم هو الوجود الاسمي لا الذاتي ومن هذه الجهة فهو يرى في كل شئ ويتجلى في كل موجود لكنه لايمكن أن ترى نفسه بل تارة يقولون كما يقول ابن عربي تري الاشياء فيه وتارة يقولون يري هو في الاشياء وهو تحليه في الصور وتارة يقولون كما يقول ابن سبعين عين ماتري ذات لا ترى وذات لاترى عين ما ترى وهم حيما يحتجون بالحديث وهم مضطربون لان ماحملوه هو الذات عدم محض اذ المطلق لا وجود له في الخارج مطلقا بلاريب فلم يبق الا ماسموه مظاهر ومجالي فيكون الخالق عين المخلوقات لاسواها وهم معترفون بالحيرة والتناقض مع مافيه من التعطيل والجحود (وقد تقدم قول صاحب الفصوص) في الفص السيثي وان المتجلي له لايري الا صورته في مرآة الحق ولا رأى الحق ولا يمكن أن يراه مع علمه انه مارأي صورته الافيه كالمرآة في الشاهد تري الصورة فيها وهي لاترى مع علمك انك ما رأيت الصورة الافيها وزعم انك اذا دمت هذا ذمت العاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن تترقى في أعلى من هذه الدرج فما هو ثم أصلا وهذا تصريح بامتناع الرؤية وهو حقيقة قولهم اذ هم من غلاة الجهمية ثم مع ذلك يحملونه نفس الموجودات كما يقول صاحب الفصوص ومن أسمائه الحسنى العلي (على من) وما ثم الا هو (وعن ماذا) وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات والمسمى محدثات هي العلية لنفسها وليست الا هو وكذلك ابن سبعين يقول فيما يري ذات لاتري وذات لا ترى عين ما ترى (واعلم) ان طائفة ممن يثبت الرؤية من أصحاب الاشعري بل وبعض المنتسبين الى الامام أحمد يفسرون الرؤية بنحو تفسير الجهمية

كالكرسي والمعتزلة فيقولون هي زيادة علم وانكشاف بحيث لم تكن ضرورية وما كان يعلم نظرا وهؤلاء يجعلونها من جنس العلم وأرفع منهم من يجعلها مع تعلقها بالعين وكونها مشروطة بوجود المرئي من هذا النمط فيقول هي مجرد خلق ادراك في العين وانه لاحجاب الا المانع المضاد لها في محل الرؤية فاذا أزيل حصلت الرؤية كما أنه لا مانع من العلم الا الجهل المضاد له فاذا زال حصلت الرؤية (ولصرار وحفص الفرد والنجار) في نفس الرؤية أقوال قريبة من هذا ليس هذا موضعها وكل ذلك فرار مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الرؤية العيانية وهو صلى الله عليه وسلم قد أفصح بها غاية الافصاح وأوضحها غاية الايضاح وبين لهم أعظم رؤية يعرفونها وانه يرونه كذلك فزالت الشبهة (وقد ناظرت غير واحد) من هؤلاء من نفاة الرؤية وعرفيها من شيعي ومعتزلي وغيرهما وذكرت لهم الشبهة التي تذكرها نفاة الرؤية (فقلت) هي كلها مبنية على مقدمتين *احداهما ان الرؤية تستلزم كذا وكذا كالمقابلة والتحيز وغيرهما* والثانية ان هذه اللوازم منتفية عن الله تعالى فكل ما يذكره هؤلاء فاحد الامرين فيه لازم اما أن لا يكون لازما بل يمكن الرؤية مع عدمه وهذا المسلك سلكه الاشعري وطوائف كالقاضي احيانا وابن عقيل وغيرهم لكن أكثر العقلاء يقولون ان من ذلك ماهو معلوم الفساد بالضرورة واما أن يكون لازما فلا يكون محالا فليس في العقل ولا في السمع ما يحيله بل اذا قدر انه لازم للرؤية فهو حق لان الرؤية حق قد علم ذلك بالاضطرار عين حيرة البرية أهل العلم بالاخبار النبوية وهؤلاء الاتحادية لما فهموا قول هؤلاء الذين لا حقيقة للرؤية عندهم الا زوال حجاب في الانسان كالآفة التي فيه المانعة من الرؤية قالوا انه يمكن زوال هذا الحجاب فتحصل المشاهدة وصموا ذلك الى بقية أصولهم الفاسدة من أنه ليس ما ثم الا عباده بل هو الوجود المطلق فقالوا يرى في الظاهر وان كانت ذاته لا ترى بحال وهذا الكلام هو تعطيل للخالق ولرؤيته ودعوى الربوبية لكل أحد كما قال صاحب الفصوص ولما كان فرعون في منصب التحكم وانه الحقيقة بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال أنا ربكم الأعلى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيهم ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له انما تقضي هذه الحياة الدنيا فاقض ما أنت قاض فالدولة لك فصح قوله أنا ربكم الاعلى وان كان عين الحق وهذا كان قد حمل فرعون صادقا في قوله أنا ربكم الاعلى وهو عنده عين الحق فالحال أيضا أحق بهذا الصدق فانه يقول

للسماء أمطري فتمطر وللارض أنبتي فتنبت وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج الخربة كنوزها تتبعه فئ صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال احوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافيه كاني أشبهه بعبدالعزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلوات يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأشبعه ضروعا وأمدها خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله وينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى أني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة ثم

يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجدون موضع شبر الا ملأه زهمهم وتنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة * وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب أخبرني عبدالله بن عبدالله بن عتبة ان أبا سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه * وفي صحيح مسلم من حديث أبي الموالي (واسم أبي الموالي حبر بن نوف) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه مشايح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد الى هذا الذي خرج قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن لا تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فلما رآه المؤمن قال أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر الدجال به فيشبح فيقول خذوه وشجوه فوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول أو ما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيوشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فاستوي قائما ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول أيها الناس انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذه بيديه

ورجلية فيقذف به فيحسب الناس انما تقذفه فى النار وانما ألقى في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين * فاذا كان فرعون صادقا في قوله أنا ربكم الأعلى مع انه لم يأت بشبهة صادقة فالدجال أحق أن يكون صادقا على قول هؤلاء * ويكفيك تقوم ضلالا أن يكون فرعون والدجال صادقين على مذهبهم وهما أعظما عدو لله من الانس وأعظم الخلق فرية في دعوى الالهية ولهذا أنذرت الرسل جميعها بالدجال وأما فرعون فلم يذكر الله فى القرآن قصة كافر عدوله أكثر وأكبر من قصته ومعلوم ان موسى وعيسى هما الرسولان الكريمان صاحبا التوراة والانجيل وموسى أرسل الى فرعون وعلى يديه كان هلاكه والدجال ينزل الله اليه عيسى بن مريم فيقتله فيقتل مسيح الهدي الذي قيل انه الله مسيح الضلالة الذي يزعم أنه الله ولما كانت دعواه الربوبية ممتنعة في نفسها لم يكن ما معه من الخوارق حجة لصدقه بل كانت محنة وفتنة يضل الله بها من يشاء ويهدى من يشاء كالعجل وغيره لكنه أعظم فتنة وفتنته لا تختص بالموجودين فى زمانه بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق فما أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة وهذا كثير في كل زمان ومكان لكن هذا المعين فتنته أعظم الفتن فاذا عصم الله عبده منها سواء أدركه أو لم يدركه كان معصوما مما هو دون هذه الفتنة. فكثير يدعون أو يدعى لهم الالهية نوع من الخوارق دون هذه . وآخرون يدعون الولاية أو المهدية أو ختم الولاية أو الرسالة أو المشيخة وقد رأيت من هؤلاء طوائف * وفي الصحيحين من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله * وفي الصحيح عن سماك عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدى الساعة كذابين قال سمعت أحي قال جابر فاحذروهم. وقد روى مسلم فى أوائل الصحيح من وجهين عن مسلم بن يسار انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث مالم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره فالذى يقول انه يحدث عن الله عن ربه أو انه يأخذ عن الله الا واسطة وانه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يوحي به الى الرسول وانه يحدث بمقتضى الأحاسيس الباطنية أولى فان هذا يدعى ما هو عنده أعلى وان

كان له نصيب من قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وقد سأل بعضهم مالكا عن بعض ما كان بالعراق من هؤلاء المبطلين فقال كلمة أو كلاما فيه هؤلاء الدجاجلة قال لم أسمع جمع دجاجلة الا من مالك وأصل الدجل التغطية والتمويه والتلبيس (ومعلوم) ان أتباع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي وسجاح كانوا مرتدين وقد قاتلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان مسيلمة انما ادعي المشاركة في النبوة لم يدع ألوهية ولا أتى بقرآن يناقض التوحيد بل جاء بكلام يتضمن ما ادعاه من الشركة في الرسالة وأسجاع من الكلام الذي لا عائدة فيه ولهذا قال أبو بكر لعمر بني حنيفة وقد استقرأهم شيئا من قرآن مسيلمة فلما قرؤه قال ويحكم أين يذهب بعقولكم إن هذا كلام لم يخرج من إلّ وذلك نحو قوله يا ضفدع بنت ضفدعين . نقي كم تنقين . لا الماء تكدرين . ولا الشارب تمنعين . رأسك في الماء وذنبك في الطين . وقوله والزارعات زرعا . والحاصدات حصدا . والعاجنات عجنا . والخابزات خبزا . اهالة وسمنا . ان الأرض بيننا وبين قريش نصفين ولكن قريش قوم لا يعدلون . وقوله . والفيل وما أدراك ما الفيل . له زلوم طويل . إنّ ذلك من خلق ربنا الجليل . ولما كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني أشركت في الأمر معك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم يقول له من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فالملك لو سألني بياض هذه ما أعطيتك اياه * فمن ادعي أنه مؤمن بما يقوله هؤلاء وان اتبع الرسول في الشرائع مع مشاركته له في مشاهدة ذلك فهو فوقه في التحقيق والعلم بالله لانه يأخذ من حيث الملك الذي يوحى به الى الرسول فلا ريب ان هذا القول أعظم فرية من قول مسيلمة الكذاب لكن هؤلاء لم يكونوا طائفة ممتنعة بدا ويحاربون فيها المسلمين بل هم موافقون في الظاهر على أنه لا رسول الا محمد صلى الله عليه وسلم وأكثر أتباعهم لا يعلمون ان هذا قول رأسهم * ثم منهم قوم منافقون لا يجهرون بذلك بين المسلمين كما كان مسيلمة يجهر بدعواه النبوة حتى كان مؤذنه يقول أشهد ان محمدا ومسيلمة رسولا الله * ومن هؤلاء من هو في الباطن أكفر من المشركين مصلا على أهل الكتاب * ومنهم قوم يتركون الكتب المتضمنة لذلك علانية وقد لا يفهمون ما فيها من الكفريات ومنهم من قال لي أفضل شيوخ هؤلاء في بلاد انصرانية لما أوقفته على بعض ما في هذا الكتاب من هذا الموضع وغيره فضل هذا كفر وقال لي

في مجلس آخر هذا الكتاب عندنا من أربعين سنة فعظمه وتعظم صاحبه ما أظهر لنا هذه المصائب الا أنت * ومنهم طائفة قد لا يكونون متعمدين الكذب لكنهم ملبوس عليهم الضلالة بحيث يظنون ان الرسول لم يعلم الحقائق وانما علم الاعمال الظاهرة ويشركون في ذلك اخوانهم المتفلسفة في نحو ذلك وتجد هؤلاء لا يعتمدون في الامور العلمية والمسائل الخبرية عن الله وأسمائه وصفاته على كلام الله ورسوله وهذا من أصول الضلال التي وقع فيها أو في بعضها طوائف من أهل الزيغ والمنافقين * ومنهم طائفة يتأولون بعض هذه المقالات الكفرية اذا حاطهم الجاهل الذي لا يفهم ما فيها أو يفوضون علمها الى الشيخ ويقولون الشيخ أعلم بما قال كانه نبي معصوم مع كثرة ما في كلامه من الباطل والكذب والجهل وان لم يكن كفرا مع ما فيها من الكفر بل قول هؤلاء يتضمن تعطيل التوحيد وحقيقة الرسالة وهما أصلا الاسلام وقد يتضمن أيضا تعطيل الايمان بما في اليوم الآخر من الثواب والعقاب بل ويتضمن أيضا تعطيل ما جاءت به الرسل من الامر والنهي ﴿ فهذه أصول الايمان ﴾ في كل ملة ورمان الايمان بالله ورسله وباليوم الآخر والعمل الصالح قال تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ وقال تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ وفي حديث جبريل الذي في الصحيح من حديث أبي هريرة في مسلم ومن حديث عمر وهو طويل في أول مسلم قال ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وما كان هؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة وأولئك يدعون الاصول الثلاثة التي هي أصول السعادة في كل ملة الايمان بالله وباليوم الآخر والعمل

الصالح كما ذكر ذلك في سورة البقرة والمائدة بعد ذكر الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين بقوله تعالى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي البقرة (فلهم أجرهم عند ربهم) فالقرامطة الذين يضاهئون الصابئة الفلاسفة والمجوس الثنوية حرفوا وعطلوا وحرفوا الايمان بالله وكذلك الايمان باليوم الآخر وكذلك العمل الصالح حتى جعلوا ما جاءت به الشريعة من أسماء الاعمال انما هي رموز واشارات الى حقائقهم كقولهم ان الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج زيارة شيوخنا المقدسين وأمثال ذلك كان في كلام هؤلاء من التعطيل والتحريف للايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ما ضاهوهم به وكما ان مذهب القرامطة وإلحادها ونفاقها لم يكن يظهر ابتداء لمن اتبعهم من الشيعة بل كانوا أولئك يظنون انهم متبعون للشريعة وكان في الشيعة من البدعة ما والوهم عليه مع تمسك الشيعة بما هم عليه من الاسلام كذلك قول هؤلاء لا يظهر ابتداء لمن اتبعهم من مفرط في معرفة السنة من متصوف ضعيف في التصوف أو في التفقه بل يكون فيه من البدعة ما والاهم عليه وهو متمسك بما هو عليه من الاسلام ولكن المحققون منهم لطريقهم هم الذين يصيرون مثل القرامطة كما قيل لأفضل محققيهم وقد قرئ عليه النصوص هذا يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا وقال لا فرق بين الزوجة والام عندنا ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا عليكم ولهذا تجد المحققين منهم يستحل المحرمات من الخمر والفواحش وترك الصلوات والكذب وموالاة اليهود والنصارى بل يكون أعظم شرا في الباطن من اليهودي والنصراني المتمسك بشريعته المبدلة المنسوخة ولكن في اليهود والنصارى من هو شر منهم لموافقته لهم على هذا الالحاد ولما كانت القرامطة انما تسوا على الناس بدعوتهم من باب موالاة أولياء الله من أهل البيت كذلك دخل هؤلاء من باب مولاة أولياء الله ولما كان في غلاة الشيعة من يعتقد نبوة علي أو ألوهيته وكان أيضا في غلاة المتنسكة من يعتقد في بعض المشايخ إلاهية أو نبوة كان هؤلاء كذلك وزادوا على ذلك حيث جعلوا خاتم الأولياء أعلى من جميع الانبياء والرسل حتى خاتم الرسل وجعلوا الالهية في كل شيء ولما كان للقرامطة في الدعوة مراتب كذلك لهؤلاء في إلحادهم فأول ذلك زعمهم ان الولاية أفضل من النبوة والنبوة أفضل من الرسالة

ويشهدون مقام النبوة في روح فوق الرسول ودون الولي

وهذا مما يبوحون به لعوامهم ويناظرون الناس عليه ويقولون ولاية النبي أفضل من نبوته ونبوته أفضل من رسالته لان ولايته اتصاله بالله والنبوة اخبار الحق له والرسالة تبليغه للناس والاول أرفع (فهذه مقدمة) ثم يقولون والولاية باقية الى يوم القيامة وتلك الولاية بعينها التي كانت للرسول هي باقية في أمته فتارة يقولون هي في كل زمان لشخص وتارة يقولون هي لخاتم الاولياء وهؤلاء قد يعظمون الامام أحمد جداً والشيخ عبد القادر جداً فان ابن عربي يعظم هذين جداً وينتسب في الخرقة الى الشيخ عبد القادر وهم يغلون في ذلك حتى انه كان كثير من شيوخهم له غلو في الشيخ عبد القادر حاذ يفسر ماينقل عنه من أنه قيل له ياسيد الخلق بعد الحق. وأصحابه المقتصدون يفسرون ذلك بسيد أهل زمانه فرعم هذا الشيخ انه سيد الخلق مطلقا بناء على أن الولاية المحمدية قائمة به ومن اتصف بها كان السيد مطلقا وجرى هذا بمجلس كنت فيه وكان فيه أحد المشايخ من أولاد الشيخ عبد القادر وهو رجل مسلم لاينقد شيأ من هذا لكن ذكر صاحب المجلس هذا عن ذلك الشيخ المالي وأن آخر رد عليه وكان هذا الراد قد اعتدى عليه. فقلت الصواب مع هذا الراد كائنا من كان فان الحق يجب اتباعه من كل أحد والباطل يجب رده على كل أحد وهذا باطل مايقوله مسلم فان الولاية القائمة بالنبي صلى الله عليه وسلم هي بعينها لاتنتقل الى أحد وأما مثلها فلم تحصل لأبي بكر وعمر ولا لاحد من الانبياء والرسل فضلا عن أن تحصل للشيخ عبد القادر أو غيره وهذا من جنس مايدعيه الرافضة الامامية من العصمة في عليّ وغيره ويجعلونهم مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بالشام طائفة منهم سألوا مرة أبا البقاء خلف بن يوسف الباسلي الشيخ المحدث الظهور فقالوا يا زين الدين أنت تقول ان مولانا أمير المؤمنين علياً كان معصوما فقال لهم أجيبكم شيئا وكان يقول مثل هذا كثيرا أو بكر وعمر عندنا خير منه وما كانا معصومين (وأقبح من غلو هؤلاء) ما كان عليه المتسمون بالمرحدين في متبوعهم الملقب بالمهدي محمد بن التومرت الذي أقام دولتهم بما أقاموها به من الكذب والضلال وقتل الكثير واستحلال الدماء والاموال فعل الخوارج المارقين ومن الابتداع في الدين ما كان عليه من البعد والضلالة المتوسطة ومع ما ألزموهم به من الشرائع الاسلامية وسيرة الخلفاء حتى ابن تومرت كان من أصح ما استحلوه فيه خطئهم له على الابرار وقولهم لا معصوم الا المهدي المعلوم. ولعمري أن من عقلا عاقلهم مع الاذعان

فسألهم عن ذلك فسكتوا خوفا لانه كان من تظاهر بانكار شيء من ذلك قتل علانية ان أمكن والا قتل غيلة ويقال انهم قتلوا القاضي أبا بكر بن العربي والقاضي عياضا السبتي وغيرهما وجهالهم يقولون في ابن التومرت حتى يجعلونه مثل النبي صلى الله عليه وسلم وينشدون

اذا كان من بالشرق في الغرب مثله * فلا زاله المشتاق أن يتحيرا

وهم يقولون في الخطبة الذي أيد بالحكمة فكان أمره حتما واكتنف بالعدل اللائح والنور الواضح الذي ملأ الارض فلم يدع فيها ظلاما ولا ظلما ﴿ وقد اتفق المسلمون ﴾ على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتم على الاطلاق الا الرسل الذين قال الله فيهم (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وأما من دونهم فيطاع اذا أمر بما أمروا به وأما اذا أمر بخلاف ذلك لم يطع كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني) وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث أميرا على سرية قال على المرء السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية الله فاذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة وقد قال الصديق رضي الله عنه لما تولى . أيها الناس القوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق . والضعيف فيكم القوي عندي حتى آخذ له الحق . وقال أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ﴿ ولهذا ﴾ ان ذلك المستخلف لما جمع العلماء وسألهم عن قولهم المعصوم وأمسك الاكثرون قام بعضهم فقال قد أجمع المسلمون وأهل السنة أو العلماء او كما قال على أن خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وأجمعوا انه لم يكن معصوما وبعض الناس على بطلان قولهم المعصوم وأريد من الناس إما من ذلك المحترس أو غيره وقد اتفق أئمة الدين على أنه لا معصوم في الامة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول كل معصوم الا النبي معصوم وقول كل محفوظ ان أراد بالحفظ مايشبه العصمة فهو باطل وهذا باب دخل منه الضلال على طوائف ضاهوا النصرانية كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (أحبارهم الذين حرفوا لهم دينهم وكتبوا لهم بأيديهم) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به

شيئا) هذا حق الخالق (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وهذا حق المخلوق (فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فتارة يجعلون في المعظمين من البشر نوعا من الالهية وهذا قد ظهر قبحه وبطلانه أكثر من القسم الثاني وهو أنهم يضاهون بالرسل المعظمين من غير الرسل وكل من هذين حلل في الشهادتين اللتين هما أصل الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين والمرسلين (وأما الغلاة) من الرافضة وأشباههم الذين يصرحون بعصمة من يعظمونه من الأئمة والمشايخ والعلماء فضلالهم أظهر من ضلال طائفة أخرى هم لا يقولون انهم معصومون لكن يعاملونهم معاملة المعصوم حتى قد يعادى أحدهم من يقول عن أحدهم انه أخطأ وان كان القائل معظما لمن قال ذلك فيه مكرما له مجلا له ولم يقل ذلك على وجه الانتقاص * ولكن البيان انه لا معصوم الا رسول الله وان من سواه يصيب ويخطئ بل قد يستحل عقوبته أو أدبته للقول الذي أجمع أئمة الدين على انه الحق الذي يجب اعتقاده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق في تعبير الرؤيا أصبت بعضا وأخطأت بعضا والحديث في الصحيحين وكما قال صلى الله عليه وسلم لما ذكرت له سبيعة عن أبي السنابل بن بعكك انه قال ما أنت بناكحة حتى تعتدي أبعد الاجلين فقال كذب أبو السنابل حللت فانكحي وهذه المسألة قد أفتى بها علي وابن عباس * وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر) وقال (ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه) وفي الترمذي (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر) وقال ابن عمر ما سمعت عمر يقول لشيء كذا وكذا الا كان كما كان يقول وقال علي كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر ومع هذا فقد كان الصديق الذي هو أفضل منه يقومه في اشياء كثيرة كما قومه يوم صلح الحديبية ويوم موت النبي صلى الله عليه وسلم بل كان آحاد الناس يبين له الصواب فيرجع الى قوله كما راجعته مرأة في قوله نهى عن أن أحد أراد صداقه على صداق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الاربعمائة الفضل في بيت المال فقالت له امرأة لم تحرمنا شيئا أعطانا الله اياه وقرأت له الآية (وآتيتم احداهن قنطارا) فرجع الى قولها وامثال هذا (ولما كان أهل العلم من يجتهدون قال الشافعي يقول علي بن ابي طالب كذا وكذا وعمر بن الخطاب كذا وكذا وزيد بن ثابت كذا وكذا فاختلافهم توسعة وقال ما أحب أن أصحابي لم يختلفوا لان الاختلاف اذا لم يكن فيه خروج عن الكتاب والسنة كان فيه سعة وقال ما أحب خلاف ذلك وأعظم

الناس موافقة للسنة أبو بكر الصديق فانه لا يكاد يحفظ له مسئلة يخالف فيها النص كما حفظ لغيره من الخلفاء والصحابة ومع هذا فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا كله لا ينازع فيه احد من أهل العلم والدين لكن ابتلى المسلمون بجهال وضلال يدعون الحقائق والاحوال وهم لم يعرفوا معرفة عموم المسلمين من النساء والرجال ﴿ وأما الرسول ﴾ صلى الله عليه وسلم فعصمته فيما استقر تبليغه من الرسالة باتفاق المؤمنين كما قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم *ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد* ولنعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) وليس هذا موضع ذكر تنازع الناس هل كان الالقاء في السمع أو في اللفظ اذ لا نزاع بين الائمة في انه لا يقر على ما هو خطأ في تبليغ الرسالة فان معصوم الرسالة لا يحصل مع تجويز هذا ﴿ واما ﴾ تنازع الناس في غير هذا كتنازعهم في وقوع الخطأ والصغائر فانهم أيضا لا يقرون على ذلك فاذا قيل هم معصومون من الاقرار على ذلك كان في ذلك احتراز من النزاع المشهور بل اذا كان عامة السلف والائمة وجمهور الامة يجوز ذلك على الانبياء ويقولون هم معصومون من الاقرار على الذنوب وتتولون وقوع ما وقع انما كان لكمال النهاية لا لنقصان البداية فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين كما دل الكتاب والسنة والآثار على ذلك وما في ذلك من التأسي والاقتداء بهم فكيف بغيرهم اذا كان غيرهم ليس معصوما من الاقرار على خطأ إذ أصل الخلق بعد الانبياء الصديقون ولا يقدح في صدقهم وقوع الخطأ منهم بل لولا ذلك لكان الصديق بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم والذين يغلون في هؤلاء هو ان قصد تعظيمهم بذلك فيه عصيان ونقص عن هو خير منهم وهم الانبياء والرسل كما ان الذي يغلو في الانبياء والرسل يكون غلوه فيه وعصيانا بالالوهية قال تعالى ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ﴾ وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله » وقال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم

المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وهؤلاء يسبون الله كما كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموهم فقد سبوا الله مسبة ما سبه بها أحد من البشر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهو يعافيهم ويرزقهم وفي الصحيح أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه إياي فقوله ان لي ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من اعادته والله سبحانه وتعالى له حقوق لا يشركه فيها أحد ورسله لهم حقوق لا يشركهم فيها غير الرسل والاقرار بهذين هو أصل الاسلام لحق الله أن يعبده ولا يشرك به شيئا كما في الصحيحين عن معاذ بن جبل قال * قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم وقد أخبر الله سبحانه عن كل من المرسلين كنوح وهود وصالح انه قال ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ وقال ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ وقال ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ﴾ فالطاعة لله ولرسله المبلغين عنه كما قال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ وأما الخشية والتقوى فلله وحده وقال تعالى ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ فالتسبيح لله وحده والتعزير والتوقير للرسول والايمان بالله ورسوله وقال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون) وقال (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال عن ابراهيم (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) وقال تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض

وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا هو أصل المقصود بالقرآن وأما الرسول فقد قال تعالى (ألنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وقال تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقال تعالى (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ففي التوكل قالوا حسبنا الله ولم يقولوا ورسوله وفي الايتاء قالوا سيؤتينا الله ورسوله لان الايتاء المحمود لا بد ان يكون مما أتاه الرسول وأذن فيه مبلغا عن الله والا فمن أوتي ملكا أو مالا عبر مأذون له فيه شرعا كان معاقبا عليه وان حرب به المقادير اذ يجب الفرق بين الايتاء الكوني والديني كما يجب الفرق بين القضاء الكوني والديني والامر الكوني والديني والحكم الكوني والديني والارادة الكونية والدينية والكلمات الكونية والدينية والاذن الكوني والديني والبعث الكوني والديني والارسال الكوني والديني وأشباه ذلك مما دل القرآن على الفرق بينهما فما كان موافقا للشريعة التي بعث بها رسوله فهو الدين الديني الذي يقوم به المؤمنون وما كان مخالفا لذلك وان كان قدره الله ويكون شرا في حق صاحبه وعقوبة وكان عاقبته فيه عاقبة سوء فان العاقبة للمتقين ولا حجة لأحد بالقدر بل المحتج به حجته داحضة والمعتذر به عذره غير مقبول وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) وقال تعالى (يسألونك عن

الانفال قل الانفال لله والرسول) وقال تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) الآية وقال تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الرسول فان الله شديد العقاب) وقد ذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن فهذا وأمثاله من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وأما المؤمنون وولاة الأمور من العلماء والأمراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك فلهم حقوق بحسب مايقومون به من الدين فيطاعون في طاعة الله ويجب له من النصيحة والمعاونة على البر والتقوى وغير ذلك ما هو من حقوقهم ولعموم المؤمنين أيضا من المناصحة والموالاة وغيرها من الحقوق مادل عليه الكتاب والسنة وليس هذا موضع تفصيل ذلك ﴿ وكل ﴾ من جعل غير الرسول بمنزله الرسول في خصائص الرسالة فهو مضاه لمن جعل معه رسولا آخر كمسيلمة ونحوه وان افترقا في بعض الوجوه ثم يكون هؤلاء شرا اذا فصلوا متبوعهم على الرسول وقد يكون أتباع مسيلمة شرا اذا كان متبوع هؤلاء مؤمنا بالله ورسوله ولم يفضلوه على الرسول ﴿ ولما أظهرت ﴾ ما في كتب هؤلاء من النفاق والالحاد أخذ بعض من يقول بتفضيل الولي على الرسول ونحو ذلك يتأولون ذلك على ماتقدم ذكره من تفضيل ولاية الرسول على نبوته ورسالته حتى خاطبني في ذلك بعضهم وأخذ يتأول كلام ابن عربي في استفادة الانبياء والرسل من مشكاة داره لأنه هو ولاية الرسول والرسل يستفيدون من مشكاة خاتم الرسل فيلزم أنهم يستفيدون من مشكاة خاتم الولاية فأخذت أولا أوقفه على ألفاظ ابن عربي المتقدمة التي ذكرتها هنا حيث ذكر فيها أن هذا العلم الذي هو تحقيق قولهم وتوحيدهم وحقيقته التعطيل ليس لا لخاتم الرسل ولا خاتم الاولياء ويراد أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراد أحد من الاولياء الا من مشكاة خاتم الاولياء حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء عن الرسالة والنبوة التي سنة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا والرسل من كونهم أولياء لا يرون مادام كونهم الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف بمن دونهم من الاولياء ومن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا ينافي ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون أعلى ومن وجه يكون أسفل فلما تدبر هذا الكلام [illegible] الانبياء والرسل لا يرونه الا من مشكاة خاتم الرسل ومن الانبياء والرسل من لا يراه الا من مشكاة خاتم الاولياء لكونهم

أيضا أولياء ثم أعاد قوله فقال فالمرسلون من كونهم أيضا أولياء لا يرون ماذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء ﴿ وهذا تصريح ﴾ بان ولايتهم القائمة بهم دون ولاية خاتم الاولياء ضد مايتظاهرون به ثم صرح بان خاتم الاولياء أعلى من خاتم الانبياء من وجه وصرح فيما بعد بانه موضع لبنتين فقال فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الكلام كما هو آخذ عن الله في السر ماهو في الصورة الظاهرة متبع فيه فانه يرى الامر على ماهو عليه فلا بد أن يراه هكذا فرعم انه مع متابعته له في الاحكام الظاهره يأخذ عن الله في السر ماهو بالصورة الظاهرة متبع فيه وهذا مقام مسيلمة الكذاب ولا ريب ان هرون وان كان نبيا مع موسى فلم يكن معه بهذه المنزلة بل كان موسى يبلغه عن الله مالم يكن يأخذه هرون عن الله وهذا الذي انه مع محمد فوق ما كان هرون مع موسى ولم يرض بذلك بل هذا في الاحكام الظاهره فقط وهذا أيضا مقام الذين اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله وهذا يزعم انه قد أوتي مثل ما أوتى رسل الله ثم قال وهو موضع اللبنه الذهبية في الباطن فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ من فوق الملك الذي يوحي به الى الرسول ﴿فزعم﴾ انه يأخذ من فوق الملك والرسول يأخذ عن الملك فهو أعلى منه في أعلى القسمين وهو علم التحقيق والمعرفة كما قال في اثناء كلامه فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شئ وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبة العلم بالله فهناك مطلبهم وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها واذا كان متقدما على الرسول في أعلى القسمين وهو العلم ومشاركا له في العلم بالاحكام فمعلوم أن مسيلمة الكذاب لم يدع مثل هذا ولا المختار بن أبي عبيد الكذاب الذي ثبت فيه الحديث الذي في صحيح مسلم عن أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير فالمبير كان هو الحجاج والكذاب هو المختار بن أبي عبيد وقد قيل لابن عمر أو لابن عباس ان المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) وقيل لآخر ان المختار يزعم انه ينزل عليه فقال صدق (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) فلما رأيت هذا لمن كان يعظمهم غاية التعظيم ويتأول كلامهم على ماينبغي اذا رآه قد صرح بالمعضيل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء وهم يأخذون من مشكاة ولاية نفسه لامن ولاية الرسول ثم ذكر له بطلان تلك الاصول بان أحدا من

الرسل لم يأخذ عن الآخر هذا العلم لوجهين* أحدهما ان هذا الحاد وتعطيل لا يعتقده الا زنديق فكيف يعتقده رسول* الثاني ان الرسل أوحى الله اليهم وعلمهم ما علمهم لم يحلهم في ذلك على من لم يخلق بعد فقد تيقن ان قول هؤلاء يستلزم قول الدجال بخلاف مسيلمة ونحوه ممن تعمد الكذب وبخلاف القرامطة وما استلزم الباطل فهو باطل وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال وفي لفظ له اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول اللهم اني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال وفي رواية طاوس سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عوذوا بالله من عذاب النار عوذوا بالله من عذاب القبر عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات وروى الاعرج عن أبي هريرة مثله وفي افراد مسلم عن أبي الزبير عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول قولوا اللهم انا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات قال مسلم يعني ان طاوسا قال لابنه دعوت بها في صلاتك قال لا قال أعد صلاتك وهذا الذي ذكره عن طاوس هو قول طاوس من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم يرون وجوب هذا الدعاء ولاريب انه أوكد الأدعية المشهورة في هذا الموضع دون النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه انه أمر بدعاء بعد التشهد الا هذا الدعاء وانما نقل عنه انه كان يقول أدعية مشروعة وأمره أوكد من فعله باتفاق المسلمين ولهذا كان الذين ذكروا هذا الدعاء في هذا الموضع من المصنفين أعلم بالسنة وأتبع لها من ذكر غيره ولم يذكره وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر أصحابه بهذا التعوذ خارج الصلاة أيضا وقد جاء مطلقا ومقيدا في الصلاة ومعلوم ان ما ذكر معه من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات أمر به كل مصل بل هذه الأمور محرمة على كل أحد ولا نجاة الا بالنجاة منها فدل على ان فتنة الدجال كذلك ولو لم تكن فتنته لا يجرد الذي يدركونه لم يؤمر بذلك كل الخلق مع العلم بان جماهير العباد لا يدركونه ولا يدركه الا أقل القليل من الناس المأمورين بهذا الدعاء وهكذا

انذار الانبياء اياه أممهم حتى أنذر نوح قومه يقتضي تخويف عموم فتنته وان تأخر وجود شخصه حتى يقتله المسيح بن مريم عليه السلام وكثير ما كان يقع في قلبي ان هؤلاء الطائفة ونحوهم أحق الناس باتباع الدجال هان القائلين بالاتحاد أو الحلول المعين كقول النصارى في المسيح والغالية المالكة في علي أو فيه وفي غيره كما ذهب الى ذلك طوائف من غلاة الشيعة وغلاة المتصوفة لا يمتنع على قولهم ان يكون الدجال ونحوه هو الله فكيف القائلون بالوحدة أو الاتحاد أو الحلول المطلق الذين يجعلون فرعون والعجل والاصنام وغير ذلك هي عين الحق كما تقدم ولقد كان يعرض لكثير من الناس إشكال في كون النبي صلى الله عليه وسلم قال في الدجال انه أعور وان ربكم ليس باعور فقال أي حاجة الى نفي ربوبيته بدليل العور مع كثرة الادلة التي يعلم بها كذبه وكذب كل بشر قال انه الله حتى ان طائفة من أهل الكلام اخوان أولئك الاتحادية في النبي كالرازي كذبوا هذا الحديث وقالوا النبي صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحتاج في نفي الربوبية الى أن يدل أمته بهذا واعلم ان الحديث ثابت متفق عليه مستفيض من وجوه * منها حديث ابن عمر المتقدم الذي سقناه في مسلم وهو في الصحيحين وفيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو له أهل ثم ذكر الدجال فقال اني لأنذركموه وما من نبي الا قد أنذر قومه لقد أنذره نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور وفي لفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال ان الله ليس بأعور ألا ان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا قد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية مكتوب بين عينيه ك ا ف ر أي كافر وفي رواية الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم وفي الصحيح من حديث حذيفة ان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب * وأعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل انه أعور وان ربكم ليس بأعور لأن ذلك وحده هو الدليل على كذبه وامتناع دعواه وانه لولا العور لم يكن هناك أدلة أخرى على ذلك أنه بل لأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لأمته انه أعور وان ربكم ليس بأعور وهو كما هو المعين وحده على ذلك

ربوبيته لم يعلم كذبه بدون ذلك لوجب على الانبياء كلهم أن يبينوا ذلك لوجوب بيان كذبه عليهم بل قد ذكر مع ذلك أدلة أخرى منها انه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن ومنها ان أحدا منا لن يرى ربه حتى يموت ومنها ان جنته نار وناره جنة كما فى الصحيحين أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هى النار وانى انذركم به كما أنذر نوح قومه وفي الصحيح أيضا عن حذيفة وعقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج وان معه ماء وناراً فالماء الذي يراه الناس ماء فنار يحرق وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد وعذب من ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه ماء عذب طيب ذكر صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الظاهرة فان فتنة الدجال أعظم فتنة تكون فى الدنيا وفى الصحيح عن هشام بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال وهو يخرج بعد بلاء شديد يصيب الناس وشبهات عظيمة مع رعة عظيمة ورهبة عظيمة ويتبعه أكثر الناس حتى اليهود مع دعواهم الكتاب هم أكثر الناس تعلقا به كما جاء فى الصحيح عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة ﴿ واذا كان ﴾ قوم موسى قد عبدوا العجل واعتقدوا انه الله وفيهم هارون نبي الله بين اظهرهم فلم ينتهوا حتى رجع اليهم موسى وألقى الألواح والنصارى فيهم متفقون على ان المسيح هو الله تعالى الله علوا كبيرا ويقولون مع ذلك هو ابن الله أفما فكيف يسع على قولهم أن يقال ذلك في بشر وهؤلاء الذين يدعون انهم أكمل الناس معرفة بالتوحيد والتحقيق وأتبع الناس لشريعة وسيرها ويفضلون أنفسهم على الرسل ولا ريب انهم من أحمق الناس فى الفلسفة يقولون انه يظهر فى كل صورة ويقولون ان عباد العجل ماعبدوا الا الله كما قال ان ربى في السرداب ثم قال هرون لموسى ان خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولى فان عامة العجل ظهرت فيهم فكان منهم من عنده اتباعا للسامري وتأسيه به ومنهم من تركه من غير عبادته حتى رجع اليهم موسى فيسألونه عن ذلك فى هرون أن يعاقب السامري ومن اتبعه فكيف موسى علم الأمر من هرون لأنه علم منه أنه لم يقصد الا ما أمره الله به ولم يعبدوا كما عبد الله شيء الا وقد كان

عتب موسى أخاه هرون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شئ بل يراه عين كل شئ الى أن قال فكان عدم قوة ارداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما تسلط موسى عليه حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة وان ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت الا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية * (فاذا كان) الأمتان الكتابيتان اليهود والنصارى اعتقدوا ما تقدم في انسان وعجل وكذلك الملاة في هذه الأمة المضاهون للكفار أهل الكتاب وهؤلاء الصابئة الفلاسفة وان انتسبوا الى الملل يقولون ما هو أبلغ من ذلك من ظهوره في كل صورة (فكيف) بمن هو أبعد من هؤلاء الطوائف عن العلم والايمان ولهذا لا يخلص من فتنة الدجال الا المؤمنون صرفا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وقد كان عندنا بدمشق) الشيخ المشهور الذي يقال له ابن هود وكان من أعظم من رأيناه من هؤلاء الاتحادية زهدا ومعرفة ورياضة وكان من أشد الناس تعظيما لابن سبعين ومفصلا له عنده على ابن عربي وغلامه اسحاق وأكثر الناس من الكبار والصغار كانوا يطيعون أمره وكان أصحابه الخواص به يعتقدون فيه أنه الله وأنه (أعني ابن هود) المسيح بن مريم ويقولون ان أمه كان اسمها مريم وكانت نصرانية ويعتقدون ان قول النبي صلى الله عليه وسلم (ينزل فيكم ابن مريم) هو هذا وان روحانية عيسى تنزل عليه ؛ وقد ناظرني في ذلك (من كان أفضل الناس عند الناس اذ ذاك معرفة بالعلوم الفلسفية وغيرها مع دخوله في الزهد والتصوف وحرى لهم في ذلك محاطبات ومناظرات يطول ذكرها جرت بيني وبينهم حتى بان لهم فساد دعواهم بالاحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى وان تلك الوصف لا يصدق على هذا (وبينت) فساد ما دخلوا فيه من القرمطة حتى ظهرت مباطنتهم وخافت لهم ان ما يتظروه من هذا لا يكون ولا يتم وان الله لا يتم أمر هذا الشيخ فأبطل الله تلك الاوهام والحمد لله رب العالمين هذا مع تعظيمهم لي بمعرفتي عنهم ولانهم يعتقدون ان كثيرا الناس محجوبون حيث لم يحققوا علومهم وغوامضهم والامر كان عند هؤلاء يصلح أن يحاط باسرارهم فالناس عندهم كالبهائم حتى قال لي شيخ مشهور من شيوخهم لما بينت له خطأه وظلمه ما أحد يحسن يعظم الا حتى تقوم وقال هؤلاء الفقهاء هم كما علمت فهم لا يعلمون ما تقول ان هذا الامر انما يقبل موافق لدين الاسلام فيتحير المجتهدون ويسقطون ان شاء عليهم ومن لي بمن يطابق

هؤلاء الاتحادية ثم رجع عن ذلك فكان من أفضل الناس وبلائهم وأكابرهم ما المانع من أن يظهر الله في صورة بشر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الدجال انه أعور وان ربكم ليس بأعور فلولا جواز ظهوره في هذه الصورة لما احتاج الى هذا في كلام له وأخذ يحتج بذلك على امكان أن يكون ابن هود الله فبينت له امتناع ذلك من وجوه وتكلمت معه في ذلك بكلام طال عهدي به لست أضبطه الآن حتى تبين له بطلان ذلك وذكرت له ان هذا الحديث لاحجة فيه والله سبحانه قد بين عبودية المسيح وكفر من ادعي فيه الالهية بانواع غير ذلك كقوله تعالى (ماالمسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) فأكل الطعام لازم لكل بشر وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) وقال تعالى (لاتأخذه سنة ولانوم) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وأمثال ذلك ﴿ واعلم ﴾ ان ما تذكره النصارى المدعون للتنزيه من المتفلسفة والمتكلمة على نفي كونه جسما أو جوهرا أو متحيزا أو متقسما أو كونه في جهة أو متحركا ونحو ذلك لم يفهم شيئا من هذا الباب ولا أوجب اعتقاد نفي الالهية في المسيح والدجال فان هؤلاء نفيهم هم الذين يعتقدون الهية المسيح الدجال والمسيح بن مريم ونحوهما مع تصريحهم بوصف الرب بتلك الصفات السلبية وذلك انهم إما أن يقولوا تدرع اللاهوت بالناسوت وحل به أو ظهر فيه أو هذه مظاهر ومجالي الالهية أو نعوت الحق أونحو ذلك من مقالات الاتحاد ﴿ والذي شاهدناه ﴾ ان أحذق الناس في الفلسفة والنفي والتنزيه كان أتبع الناس لهؤلاء الاتحادية اذ هم بزعمهم يجمعون بين التنزيه والتشبيه في كل مايصفونه به حتى وصفوه بكل عيب وكل نقص وكل صفة لمحدث ﴿ كما قال صاحب الفصوص ﴾ ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات واخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الدم الا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها الى آخرها وكلها حق له كما هي صفات المحدثات حق للحق وقال أيضا ومن اسمائه الحسنى العلي (على من) وماله ثم الا هو فهو العلي لذاته (أو عن ماذا) وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العالية لذاتها وليست الا هو ﴿ الى ان قال ﴾ فهو عين ماظهر وهو عين ماظهر في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من

أسماء المحدثات ﴿ الى ان قال ﴾ وبين مرتبة ما ظهر وما بطن في الاعداد والكميات بيانا منه ان الحق المنزه هو الخالق المشبه وان كان قد تميز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق والامر المخلوق المخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه وفداه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة انسان فظهر بصورة لا بحكم ولد من هو عين الوالد وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه ﴿ الى ان قال ﴾ فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الامور الوجودية والنسب القدمية بحيث لا يمكن ان يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا لمسمي الله خاصة ﴿ فصرح ﴾ بان الحق المنزه هو الخلق المشبه ﴿ وصرح ﴾ بانه المنعوت بكل نعت مذموم وممدوح ﴿ وصرح ﴾ بانه أبو سعيد الخراز وغيره من اسماء المحدثات ﴿ كما صرح ﴾ بان المسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو وقال أيضا اعلم ان التنزيه عند أهل الحقائق هو في الجناب الالهي عين التحديد والتقييد فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب ولكن اذا أطلقاه وقالا به فالقائل بالشرائع المؤمن اذا نزه ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك فقد أساء الادب وكذب الحق والرسل وهو لا يشعر ويتخيل انه في الحاصل وهو في الفائت وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض وقد علم ان ألسنة الشرائع الالهية اذا نطقت عن الحق تعالى لما نطقت به انما جاءت به في العموم على المفهوم الاول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوده ذلك اللفظ ثان ان كان في وضع ذلك اللسان كان للحق من كل خلق ظهور فهو الظاهر من كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم الا عن فهم من قال ان العالم صورته وهويته ﴿ الى أن قال ﴾ وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر في الباطن نفسه لما ظهر من صور العالم بنسبة الروح المدبر للصورة فيوجد في حد الانسان مثلا ظاهرة وباطنة وكذلك كل محدود فالحق تعالى محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا يعلم حدود كل صورة منها الا قدر ما حصل لكل عالم من صورة فكذلك يجهل حد الحق فانه لا يعلم حده الا لعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فحد الحق محال وكذلك من شبهه وما نزهه فقد قيده وحدده وما عرفه ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الاحوال لانه يستحيل ذلك على التفصيل

لعدم الاحاطة بما في العالم من الصور فقد عرفه مجملا لا على التفصيل وكذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس فقال من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم) أي للناظرين (انه الحق) من حيث انك صورته وهو روحك فانت له كالصورة الجسمية لك وهو لك كالروح المدبر لصورة جسدك والحد يشمل الظاهر والباطن منك فان الصورة الباقية اذا زال عنها الروح المدبر لها لم تبق انسانا ولكن يقال فيها انها صورة تشبه صورة الانسان فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ولا ينطلق عليها اسم انسان الا بالمجاز لا بالحقيقة وصور العالم لا يمكن زوال الحق عنها أصلا فله الالوهية له بالحقيقة لا بالمجاز كما هو حد الانسان اذا كان حيا وكما ان ظاهر صورة الانسان تثني بلسانها على روحها ونفسها والمدبر لها كذلك جعل الله صورة العالم تسبح بحمده ولكن لا نفقه لتسبيحهم لانا لا نحيط بما في العالم من الصور فالكل ألسنة للحق ناطقة بالثناء على الحق ولذلك قال الحمد لله رب العالمين أي اليه ترجع عواقب الثناء فهو المنزه المثنى عليه وأنشد

فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا * وان قلت بالتشبيه كنت محددا
وان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت إماما في المعارف سيدا
فمن قال بالاشفاع كان مشركا * ومن قال بالافراد كان موحدا
فاياك والتشبيه ان كنت ثانيا * وإياك والتنزيه ان كنت مفردا
فما أنت هو بل أنت هو وتراه في * عين الأمور مسرحا ومقيدا

﴿ الى أمثال هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء الدجالون الكذابون ﴾ ويقولون تارة ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاهم إياها وتارة انهم أخذوه عن الله بلا واسطة والنبي صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل يستفيدون منهم وتارة انهم والحق أخذوه من معدن واحد ومع هذا فقد جرى للمؤمنين مع أتباعهم من المحنة ما هي أشهر المحن الواقعة في الاسلام ومعلوم ان هذه المحنة هي نتيجة محنة الدجال بل هذه النتيجة أقرب الى محنة الدجال من غيرها لان النزاع في مثل دعوى الدجال قد سموا بعد وقد انتصروا غاية الانتصار لما هو قول فرعون والدجال وعادوا من خالفهم ما هو من أعظم معاداة الدجال مع معرفة حذاقهم بانه قول فرعون وقوله إنما على مذهب فرعون ورعمهم مع ذلك انهم أكمل الخلق وأعظمهم معرفة وتحقيقا وتوحيدا وهذا كان هذا حال بني آدم عوامهم وخواصهم من جميع الاصناف

في الانسان ظهر أن ماذكره النبي صلى الله عليه وسلم من الدلائل على نفي رؤية المثال كان من أحسن الادلة وأثبتها وأنفعها للعامة والخاصة وظهر بهذا ان غيره من الانبياء وان لم يقلها لتكون الادلة متعددة فالذي قالها كان أعلم بما ينفع الناس وأحرص عليهم وأرحم بهم كما قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) فان الدليل الواضح عندهم اضطراب القلوب واشتباه الحق وافتتان كثير من الخلق أو أكثرهم بتفع ويظهر الحق ويدفع الباطل مالا تسمه الادلة الحسية وان كانت قطعية يقينية والمقصود من الادلة والاعلام هدى للعباد وارشادهم فكل ما كان من الادلة أدل على الحق وأنفع للخلق كان أرجح مما ليس كذلك والحمد لله الذي بعث الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة ﴿فهذا هو الوجه الاول﴾ وبيان ان أحدا من الناس لا يرى الله في الدنيا بعينه لا في صورة ولا في غير صورة وان الحديث الذي احتج به الاتحادية على تجليه لهم من الصور في الدنيا يدل على نقيض ذلك

﴿الوجه الثاني﴾ انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضامون في رؤية الشمس ضحوا ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضامون في رؤية القمر ضحوا ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كما ترون الشمس والقمر ولو كانت الرؤية هي تجليه في صور المخلوقات كلها كما يقوله الاتحادية لقال لهم إنكم ترون ربكم في هذه الصور اذ هم لا يرتضون عدم في القيامة تجليا غير هذا التجلي الذي في الدنيا وانما تفاوت الناس عندهم بقدر تجرد أنفسهم حتى يشهدوا الوجود الساري في كل شيء لا فرق في ذلك عندهم بين دار ودار وهذا أيضا حجة على من يحمل انه لا مانع للرؤية الا عدم الادراك في العين فانه على قوله لا فرق وعلى كل من القولين فانهم لا يرونه كما يرون الشمس والقمر وان كان هذا تشبيها للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي اذ كاف التشبيه دخلت على ما المصدرية فانه على قول الاتحادية هو موجود فيهم كوجوده في الشمس والقمر والكواكب والجبال والحيوان والنبات فيمتنع أن يروه كما يرون الشمس والقمر مايزا لهم منفصلا عنهم وعن غيرهم من الموجودات وعلى قول أولئك لا يرونه مواجهة عيانا وانما الرؤيا من جنس العلم أو نوع منه وقولهم قول الاتحادية في رؤية الوجود المطلق * وفي البخاري انكم ترون ربكم عيانا ﴿ومما يبين ذلك﴾ انه ليس في الموجودات

بالرؤية في الدنيا أعظم من هذين ولا يمكن أن يراها الانسان أكمل من الرؤية التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يبين ان المؤمنين يرون ربهم أكمل مايعرف من الرؤية وعلى قول هؤلاء انما يري أخفى ما يكون أو يرى على وجه تستوي الموجودات كلها في رؤيته فانهم اذا جعلوه الوجود المطلق ووصفوه بالسلوب كانت الرؤية من جنس العلم ان هذا ونحوه لا يرى بالعين وان جعلوه الوجود الذي في المخلوقات جعلوا رؤيته كرؤية كل موجود خفي وجلي وعلى التقديرين فهم مخالفون للنصوص السلفية التي احتجوا بها

﴿ الوجه الثالث ﴾ انه قال لا تضامون في رؤيته ولا تضارون في رؤيته أي لا يلحقكم ضير ولا ضيم وروي لا تضارون ولا تضامون أي لا يضر بعضكم بعضا ولا ينضم بعضكم الى بعض كما جرت عادة الناس بالازدحام عند رؤية الشيء الخفي كالهلال ونحوه وهذا كله بيان لرؤيته في غاية التجلي والظهور بحيث لا يلحق الرائي ضرر ولا ضيم كما يلحقه عند رؤية الشيء الخفي والبعيد والمحجوب ونحو ذلك وعلى قول هؤلاء الجهمية الأمر بالعكس فانهم اذا قالوا يتجلى في كل صورة من صورة الدواب والعوض والدق والهلال والسماء ونحو ذلك من الاجسام الصغيرة فمعلوم مايلحق في رؤيتها من الضيم لاسيما وعند صاحب الفصوص لا يراه انما يري الدوات التي يتجلى فيها وأما اذا جعل الرؤية من جنس العلم بجنس هذه لا يلحق فيها ضرر ولا ضيم ولا يلحق فيها زحمة ولا مشقة فتكون بمنزلة ذلك مما هو علم أو كالعلم عديم الفائدة بعيد المناسبة لا يليق بمن هو من آحاد الناس فضلا عن أكمل الخلق وأعظمهم معرفة وبالله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

بحمد الله تعالى قد تم طبع هذا الكتاب المسمى بغيه المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد القائلين بالحلول والاتحاد وهو الموسوم بالسعيدية الذي ألفه شيخ الاسلام ابن تيمية وقد اعتنينا بتصحيحه غاية الاعتناء بحمد الله تعالى في حديقة نشر الدواوين وذلك بمطبعة ﴿ كردستان العلمية ﴾ لصاحبها الفقير اليه (مرعي الله زكي الكردي) بالخالية بمصر المحمية سنة ١٣٢٩ بجزيرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

فهرست

كتاب بغية المرتاد المسوت (بالسبعينية) لشيخ الاسلام ابن تيمية

صحيفه

٢ مقدمة لبعض الافاضل أولها الحمد لله فى الاصل مانصه فيه جواب الشيخ الامام شيخ الاسلام أبى العباس أحمد بن تيمية عن العقل وأنواع أشخاصه وأقوال الناس فيه وابطال قول من جعل العقل جوهراً قائما بنفسه أو ملكا مبدعا لكل ما سواه من العقول والنفوس والافلاك والنفوس البشرية والعناصر والمولدات وغير ذلك مما تقوله الفلاسفة فانه فى شرعة المسلمين عبارة عن عرض قائم بغيره وضمنه الرد على ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة والقرامطة والجهمية ويتضمن الرد على ابن عربي وابن سبعين وغيرهما ممن نحا نحوهما الخ وبدأ فيه بتدبر كلام العراقى متعقبا عليه ذاكرا ما يرد على كلامه ومعرضا بمن مثل ذلك وموضحا مأخذ ذلك وما فيه من الخروج عن مناهج الشريعة الخ

٣ مقدمة لبعض الافاضل أيضا متضمنة ما ذكر

٥ سئل شيخ الاسلام علم الاعلام أحمد بن الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ماتقول السادة العلماء أئمة الدين في الحديث المروى الذي لفظه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال وعزتي وجلالى ما خلقت خلقا أكرم علىّ منك فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب والعقاب) والحديث الآخر (كنت كنزاً لاأعرف فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفونى فبى عرفونى) والحديث الثالث (الذي لفظه كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ماعليه كان) هل هذه الاحاديث صحيحة أم سقيمة الخ والجواب عنها بما يفيد أن هذه الاحاديث موضوعة وغير ذلك

٨ ذكر كلام أبى حامد العراقى فى كتاب معيار العلوم وفيه ذكر مذهب الفلاسفه

١٠ الرد على كلام أبي حامد ويتضمن الرد على الفلاسفة وغيرهم وهو الوجه الاول

١٩ (الوجه الثاني) أن هؤلاء لا يجعلون العقول والنفوس التى يثبتها الفلاسفة في عالم الخلق ل يقسمون عالم الخلق لعالم الاجسام الخ

صحيفة

٢٨ (الوجه الثالث) أن هؤلاء يدعون أن العقل الاول صدر عنه جميع ما تحته فصدر عنه عقل ونفس وفلك وعن العقل عقل ونفس وفلك الى العقل الفعال فانه صدر عنه جميع ما تحته من المواد والصور ويسمون هؤلاء الارباب الصغرى الخ

٢٩ (الوجه الرابع) أن من تدبر الكتب المصنفة فى العقل تبين له تحريف هؤلاء الخ

٣٠ (الوجه الخامس) أن العقل في لغة المسلمين كلهم ليس ملكا من الملائكة الخ

٣١ (الوجه السادس) أن العقل في الكتاب والسنة لا يراد به جوهر قائم بنفسه الخ

٤٠ (الوجه السابع) أن هذا مما يبين كذب هذا الحديث المروى كما رووه فان العقل اذا كان في لغة المسلمين هو عرض قائم بغيره لم يكن مما يخلق مجردا وانما يخلق بعد خلق العقلاء

٤١ (الوجه الثامن) أن هؤلاء سموا فى الحديث أن أول ما خلق الله القلم الخ

٤٤ (الوجه التاسع) أنه قد ذكر أن السلف فى العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين

٤٨ (الوجه العاشر) أن النصوص والآثار المتواترة عن النبى وأصحابه والتابعين متطابقة على ما دل عليه القرآن من أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام الخ

٥٣ (الوجه الحادى عشر) قوله لا تستبعدوا أن تكون في القرآن اشارات من هذا الجنس ان أراد أن مثل هذه الاشارة تكون معنى الكلام فهذا تحريف الكلم عن موضعه الخ

٥٤ (الوجه الثاني عشر) قوله وان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذي لو كنت في النوم مطلقا روحك اللوح المحفوظ تمثل لك ذلك تمثال مناسب يحتاج الى التعبير

٦٩ (الوجه الثالث عشر) أن ما ذكره في قصة ابراهيم الخليل من أنه أراد بالكوكب والقمر والشمس ما يذكره المتفلسفة من العقول والنفوس الخ

٧٧ (الوجه الرابع عشر) قوله فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر وراية شريفة يعبر عنها بالملائكة فيها تفيض الانوار على الارواح الخ فالحري أن يكون مثالها فى عالم الشهادة الشمس الخ

٨٠ (الوجه الخامس عشر) ما ذكر في تفسير قصة موسى والوادي المقدس وتفسير ذلك وقول هؤلاء المتفلسفة في العقول قد اشتملوا هذا من الاصول المخالفة الخ

صحيفة

٨٤ (فصل) وبهذا كله اذا ميز وجود الحق وغيره من الخلوقات عن وجود الرب الخ
٩٠ (فصل) وأما صاحبه القونوى فقد كان التلمساني صاحب القونوي وهو أصدق متأخريهم يقول أنه كان أتم من شيخه ابن عربي وكان ابن سبعين يقول عن التلمساني الخ
١٠٨ (فصل) ومن تدبر الحديث وألفاظه علم أنه حجة على هؤلاء الاتحادية الخ

﴿ تمت الفهرست ﴾

To: www.al-mostafa.com